

## كتاب التوبة

البُيُوتَةُ إِلَى اللَّهِ

وكمفراة الذنوب

الحِجَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ

رواية مختصرة  
عبد اللطيف عاشر

## مختار القراء

للطبع والنشر والتوزيع  
٣ شارع القماش بالهرساي - بولاق  
القاهرة. ت: ٧٦١٩٦٢ - ٧٦١٩٩١

AL-MOS TAFI.COM

## كلمة المحقق

كثيراً ما أحلوا — بين أمين والحن — إلى مؤلفات « حجة الإسلام أبي حامد الغزالي » فأجد فيها راحة للقلب ، وسكينة للنفس ، وبخاصة ما يتعلق منها بالمنهجيات .

فلقد قرأت فيما قرأت عن التوبة والتائبين :

« أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به :

هل لي من توبة ؟ »

فأعرض عنه ابن مسعود ، ثم التفت إليه ، فرأى عينيه

تدرقان !!

فقال له :

« إن للتوبة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه منكراً مؤكلاً به لا يملك ، فاعمل ولا تيأس » .

ورأيت « إمامنا الغزالي » يضع التوبة على رأس المنهجيات في كتابه « إحياء علوم الدين » . ويتناول مكفرات الذنوب تناولاً رائداً ويقرئ هذا البحث كتاباً مستغلاً نظراً لأهميته وأثره في عاجل حياتنا وحلها !!

ولست أنفي عليك - أيها القارئ العزيز - أن هذا الكتاب قد شذى ، وملك على جوارب نفسي ، حيث تصدى أبو حامد ، لشرح حقيقة التوبة ، وبيان شروطها ، ومسبباتها ، وعلاقتها ، وغمرها ، والآفات المانعة منها ، والأدوية الميسرة لها لما قد لا نجد مجتمعة في كتاب !

وقلت في نفسي : من منا ليس في حاجة عاجلة إلى مراجعة نفسه ، والإقبال على ربه ، ليحسب إليه توبة نصوحاً ؟ ولكن كيف السبيل !!؟ وأين الطريق إلى ذلك الباب المفتوح .. ؟ باب التوبة ، !!؟

وهنا برزت فكرة إخراج هذا الكتاب .. لماذا لا نعيد للفكر ؟ ولِمَ لا نيسره للذكر ؟ لنير لكل مسلم طريق التوبة حتى يكون مع الذين أنعم الله عليهم ورضى عنهم ورضوا عنه .

وما هوذا بين يديك ؛ فإن وفقنا فمن الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ،،،،

عبد اللطيف عاشور  
أول شعبان ١٤٠٦ هـ  
١٠ من أبريل ١٩٨٦ م



## دراسة التحقيق

- هذا الكتاب !
- المؤلف .
- عصره .
- مؤلفاته .
- حجة الإسلام العراقي مؤلفاً ومحدثاً .
- منهج التحقيق .

## هذا الكتاب

نوع فريد متميز بين غيره من الكتب التي تناولت موضوع التوبة والتائبين ، فلقد كان مؤلفه حدها ، وحقيقتها ، ومسببها الذي به تجلب ، وثمرتها التي منها تستفاد ، وعلامتها التي بها تتعرف ، وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب ، مع ما ورد فيها من قواعد الشرع داخل .

وقد نجد من صنف في هذه لعال كتاباً ولكن المؤلف — وهو أعلم بما صنف — يقول

يمتاز هذا الكتاب عن تلك الكتب بخمسة أمور :

الأول — حل ما عقده ، وكشف ما أجهله .

الثاني : ترتيب ما بدأه ، ونظم ما فرقه .

الثالث — إيجاز ما طوله ، وضبط ما قرره .

الرابع — حذف ما كرره ، وإثبات ما حرره .

الخامس — تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً .

ومن أجل هذا كان حرصنا على حسن إعداد هذا الكتاب للنشر وتقديمه لقراءتنا وما هو ذا بين يديك !

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينير لنا طريق التوبة ، وأن يحسنه لنا من أمرنا وشأننا .



## المؤلف أبو حامد الغزالي

• ولد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي في قرية «غزالة» من أعمال «طوس» سنة ٤٥٠ هـ ..

• تنقل في طلب العلم بين «طوس» إلى «جرجان» و«نيسابور» حيث لازم إمام الحرمين الجويني، وصار من أخص تلاميذه.

• لقي الوزير «نظام الملك» بعد موت إمام الحرمين فعرف له مكانته، وأثله نحو منزل، وفوض إليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بعد أن جرى بينه وبين العلماء مجادلات ومناظرات في عدة مجالس استوجبت إعجاب نظم الملك. وكان يحضر درسه نحو ثلاثمائة من كبار العلماء حيث كانت تشد إليه الرجال.

• ثم ترك الدنيا وزينتها وخرج من بغداد سالماً متصوفاً (عام ٤٨٨ هـ)، وبدأ بالبحث ثم دخل الشام وأقام بها زاهداً، ول عزته ببلاد الشام ألف «كتاب الأحياء» ثم انتقل إلى بيت المقدس، ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ويقول ابن خلكان إنه قصد الركوب منها في البحر إلى بلاد المغرب للاجتماع بالأمر «يوسف بن تاشفين» صاحب «مراكش» فبلغه فيه، وعندئذ صرف عزمه عن تلك الناحية، وعاد إلى بغداد ثم خراسان.

• درس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة أخرى، ثم رجع إلى طوس، واتخذ إلى جانب درسه مدرسة للفقهاء، وخانقاه للصوفية.

• قسم وقته بين العبادة والتدريس ومجالسة المتصوفة إلى أن وافاه الأجل (سنة ٥٠٥ هـ) في مدينة الطبرستان قبة طوس بعد أن ملأ الدنيا علماً وفضلاً وخيراً.



## عصر الإمام الغزالي

(١) هو عصر السلاجقة الذين قاموا «سيرة أهل السنة على الشيعة».

(٢) وهو العصر الذي نشط فيه الفلاسفة.

(٣) كما ازدهر العصر بأصحاب المذاهب الفلسفية المختلفة فلم يكن عجباً ولا غريباً أن يتصدى «حجة الإسلام» الغزالي هؤلاء ولولئك .. بالرد .. والتضيق .. والمناظرة وبعتها حرباً .. وحجج هجماته وغاراته على جبهات مختلفة كانت وسياته فيها المناظرة والجدل .. تأليف .. والتصنيف ..

مؤلفاته :

لو تصدينا لعدد مؤلفاته وحصرها لوجد أنها تزيد على السبعين مؤلفاً منها ما رأى النور، ومنها ما لا يزال مخطوطة .. من مؤلفاته :

- ١ - تهافت الفلاسفة .
- ٢ - مقاصد الفلاسفة .
- ٣ - عقيدة أهل السنة .
- ٤ - فضائح الباطنية .
- ٥ - فصول الفرق بين الإسلام والزندقة .
- ٦ - تنزيه القرآن عن الطاعن .
- ٧ - الخير المسبوك في تصحيح للشوك .
- ٨ - مكاشفة القلوب .
- ٩ - المنقذ من الضلال .



## حجة الإسلام الغزالي مؤلفاً ومجدداً

نستطيع أن نقسم عمل حجة الإسلام، إنتاجه وتجديده في ناحيتين :  
الأولى : نقده الفلسفة ومناقشته لها ، وحججه لعلم الكلام الذي فقد جدته وحياته .

الثانية : « الحجة » على المجتمع الإسلامي المعاصر ، والدعوة إلى الأخلاق الإسلامية ، والروح ، والتعالي بالخلفاء .

ويمثل الناحية الثانية كتابه العظيم « إحياء علوم الدين » وقد صنف الغزالي هذا الكتاب ، وقد خرج من بغداد في طلب السعادة واليقين واشتغل بالعبادة والمجاهدة والانقطاع عن الناس . الغزالي إذاد مصلح اجتماعي يخصص جزءاً من كتابه بذيء الغرور يذكر فيه أصناف المقتربين ، ويزرق كل صنف ، ذكر منهم المقتربين من أهل العلم ، ويزرقهم ، والمقتربين من المتصوفة ، والمقتربين من أرباب الأموال ويزرقهم ، وقد ذكر مناقذ الشيطان ومداخل النفس في هذه الطبقات وأصنافها وذكر من أفكارهم ومزائجهم وعندهم النفسية ما لا يطلع عليها إلا علم كبير من علماء النفس<sup>(١)</sup> .

وقد انتقد العلماء والمشتغلين بالعلم في غلوائهم في الإكثار من الجزئيات الفقهية ، والخلافات ، والكلام ، والجدل ، والتملق في العلوم الآلية : كالنحو واللغة ، والشعر والقريب ، والانهماك به .

(١) أبو الأمل الموحدي - حجة الإسلام الغزالي .

١٠ - ميزان العمل .

١١ - إلهام العوام عن علم الكلام .

١٢ - إحياء علوم الدين .

١٣ - الوسيط في علم الفقه .

١٤ - البسيط في علم الفقه .

١٥ - الوجيز في علم الفقه .

١٦ - الخلاصة في علم الفقه .

إلى غير ذلك من كتبه التي تصدت لحصرها قوائم الكتب والمخطوطات .





وانتقد الصوفية : بالاكفاء بحفظ أقوال المشايخ وأخبارهم ولا حظ أن هذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها .

فأما علم الطب والحساب والصناعات ، وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع ، فلا يعتقد أصحابها أنهم يتلون المغفرة بها من حيث إنها علوم ، فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع .

ولقد ذكر من التباسات الصوفية ومبالغتهم شيئاً كثيراً يدل على إنصافه وتدقيقه .

وقد ذكر عن المغترين من أرباب الأموال طرائف وحقائق تدل على النظر العميق والفهم الديني الصحيح .

وتجمل لنا ذلك من خلال حديثه عن غرور العامة وطوائف من الأغنياء والفقراء ، مما يحول دون « التوبة » ويعد المسلم عن الصراط المستقيم ويمنح للشيطان أن يستحوذ عليهم وينسبهم ذكر الله ، فيصبحوا من حزبه !! وها هو ذا يفتح باب التوبة لكل هؤلاء وأولئك ليكونوا جميعاً على صراط مستقيم ، طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين . وإذا كان الإمام الغزالي قد حمل الغرور أس المهلكات فقد جعل التوبة على رأس المنجيات .

ويظهر الغزالي مصوراً حاذقاً يتناول بريشته البارعة بجمع عصره فيصور مخالبه وقسمات وجهه ويحسم وقائمه ونجاعيده ويظهر في ذلك كله ذكاءً وسعة اطلاع ، ودقة ملاحظته وبراعة تصويره وسلامة تفكيره .



## منهج التحقيق

- قدمت للكتاب ، وعرفت عليه بما يتيح لغيره المسلم معرفة أنواع الذنوب ومكفراتها وبيء له كيف يتوب منها .
- قسمت أركان الكتاب الأربعة إلى فصول ، وبذلك جهدي في اختيار العناوين الملائمة لها ليتسنى الإلمام بها ، والانتفاع بكل ما جاء فيها .
- وضعت على مدخل كل ركن « مرآة » ، يرى فيها القارئ ما تضمنه ذلك الركن من أفكار ونقاط .
- قدمت للقارئ بياناً تفصيلياً بالذنوب التي منها تتوب مع أقسام الناس في الآخرة طبقاً لما تناولته الإمام الغزالي مما يساعد القارئ على الإلمام بالموضوع ، ويثير فيه مزيداً من الشوق إلى استيعابه على الوجه الأكمل .
- أخرجت الكتاب في صورته اللائقة وجمعه في متناول الجميع ، ليسهل تداوله ، والاستفادة مما تناولته .
- وها هو ذا ينظم إلى « إخوة له » من ربه حجج الإسلام الغزالي أصلها مكتبة القرآن .
- الزواج الإسلامي السعيد .
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى .
- أصناف المغرورين .
- بداية الهداية .
- الأذكار والدعوات .



## مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب ، وبذكره يهدى كل خطاب ،  
وبحمده يتعمم أهل التعميم في دار التواب ، وباحمه يتسلى الأشقياء وإن أُرْحِي  
دونهم الحجاب ، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة  
وظاهرة من قبله العذاب .

وتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ، ومسبب الأسباب . ونرجوه  
رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب . ونخرج الخوف برجائنا مزج من  
لا يرتاب أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب .

ونصل على نبيه محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه ، صلاة تنقذنا من هول  
المطلع يوم العرض والحساب ، ونحمد لنا عند الله زلفى وحسن مأب .

## مبدأ طريق السالكين

أما بعد . فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى سائر العيوب وعلام  
العيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المرئيين ؛  
ومفتاح استقامة الماتلين ، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ، ولأينا آدم  
عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين . وما أجدر بالأولاد الاقتداء  
بالآباء والأجداد ، فلا غرو أن أذنب آدمي واجترم<sup>(٢)</sup> فهي شينينة يعرفها من  
أخترم<sup>(٣)</sup> ، ومن أشبه أباه فما ظلم ولكن الأب إذا جبر بعدما كسر وعمر بعد  
( ٢ ) اجترم : ارتكب قبيحاً وعزماً .

( ٣ ) الشينينة : الطيمة والمادة . وهي بكسر الشين الأول والفتحة . وكان أخرم عاقاً لأنه قعدت ،  
فولدت أولاده على جنمهم فأمموه فقال : إن نبي خرجوني بالنم . و شينينة أمرفها من لكرم . فأنسج  
الشطر الثال من البيت مثلاً يضرب في قرب الشبه . ( يجذب صمم الأمثال ) .

أن هدم ، فليكن النزوع إليه في كلا طرفي النفي والإثبات ، والوجود والعدم  
ولله قرع آدم سن الندم ، وثقم على ما سئل منه وتقدم . فمن اتخذ قدوة في  
الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم . بل التجرد لمحض الخير ذنب الملائكة  
المقربين ، والتجرد للشر دون التلاقي سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد  
الوقوع في الشر ضرورة آدميين . فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك  
الديان ، والمتجرد للشر شيطان ، والمتلاقي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة  
إنسان فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبان ، واصطحب فيه سجتان . وكل  
عبد مصحح نسيه إما إلى الملك ، أو إلى آدم ، أو إلى الشيطان . فالتائب قد أقام  
البرهان على صحة نسب إلى آدم بملازمة حد الإنسان . والمعسر على الطغيان  
مسجل على نفسه بنسب الشيطان .

فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فمفارج عن حميز  
الإمكان ، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنأ محكماً ، لا يخلصه إلا  
إحدى الثارين ، نار الندم أو نار جهنم . فالإحراق بالنار ضروري في تخليص  
جوهر الإنسان من عباث الشيطان ، وإليك الآن اختبار أهون الثارين ،  
والمجادرة إلى أخف الشرين ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار  
الاضطرار ، إما إلى الجنة وإما إلى النار !!







## تمهيد

إذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع ، وجب تقديمها في صدر ربح للنجيات بشرح حقيقتها ، وشروطها ، وسببها ، وعلامتها ، وثمرتها ؛ والآفات المانعة منها ، والأدوية الميسرة لها . ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان :

**الركن الأول :** في نفس التوبة ، وبيان حدها ، وحقيقتها ، وأنها واجبة على الفور ، وعلى جميع الأشخاص ، وفي جميع الأحوال ، وأنها إذا صحت كانت مقبولة .

**الركن الثاني :** فيما عدا التوبة ، وهو الذنوب ، وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر ، وما يتعلق بالعباد ، وما يتعلق بحق الله تعالى ، وبيان كيفية توزيع الدرجات والدركات على الحسنات<sup>(١)</sup> والسيئات ، وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر .

**الركن الثالث :** في بيان شروط التوبة ودوامها ، وكيفية تدارك ما مضى من الظالم ، وكيفية تكفير الذنوب ، وبيان أقسام التائب في دوام التوبة .

**الركن الرابع :** في السبب الباعث على التوبة ، وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين وهم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل .

(١) لأهل الجنة درجات على الحسنات . كما أن لأهل النار درجات على السيئات وقد جاء القرآن بهذا ﴿ إن المظالم في الدرك الأسفل من النار ﴾ ، ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ [الأحزاب : ١٩] .

## الركن الأول

### في نفس التوبة

- بيان حقيقة التوبة وحدها .
- بيان وجوب التوبة وفضلها .
- بيان أن التوبة واجبة على الفور .
- بيان أن التوبة واجبة على جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال .
- بيان أن التوبة إذا استجمعت شروطها فهي مقبولة لا محالة !!



## الفصل الأول

### بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى يتنظم ويقتضيه من ثلاثة أمور مرتبة : علم ، وحال ، وفعل . فالعلم الأول ، والحال الثاني ، والفعل الثالث . والأول موجب للثاني ، والثاني موجب للثالث إيجاباً يقتضيه اقتضاء الله في الملك والملكوت .

أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب . كونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب . فإذا عرف ذلك معرفة محقة . يسر غالب على قلبه ، ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب . فإن قلباً مهما شعر بفوات محبوبه تألم . فإن كان قوته بقوله تأسف على الفعل المنقوت ، فيسمى تألمه بسبب فعله المنقوت محبوبه ندماً . فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى ، انبعث بالحال ، وبالماضي ، وبالاستقبال . أما تعلقه بالحال ، مستترك للذنوب الذي كان ملازماً . وأما بالاستقبال ، فبالعزم على ترك الذنوب لئلا يؤول للمحسوب إلى آخر العمر . وأما بالماضي ، فيتلافى ما فات بالخير والقضاء . إن كان قابلاً للخير فالعلم هو الأول . وهو مطلع هذه الخيرات . وأبغى بها العلم الإيمان واليقين . فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب ستور مهيكة ، واليقين عبارة عن تأكيد هذا التصديق ، وانتفاء الشك عنه ، واستيلاءه على القلب ، فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم . فيتم ما القلب حيث يصير بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوباً عن محبوبه ، كس بشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة ، فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب ، أو انقصار حجاب ، فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك ، فتشعل نيران الحب في قلبه ، وتنبعث تلك النيران بإرادته للانتهاض للندارك .

معها وسدده، واعتد استغفر بالشرك في الحان والاستقبال. والثاني  
سبغ، ثلاثة مع مرة في الحصول، فيطيق اسم التوبة على مجموعها  
وكثيراً ما يفسر اسم الله على معنى للدم وحده، ويجعل العلم كالسائق  
والصمد، والشرك كاشرة والتابع المتأخر. وهذا الاعتبار قال عليه الصلاة  
وسلام: "الندم ثوبة" يد لا يخلو الندم عن علم أوجهه وأثره، وعن عزم  
بعمه ويسوده فيكون الدم محسوساً بطريقه، أعني ثمرته ومشمره. وهذا الاعتبار  
قيل في حديث التوبة أنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطايا. فإن هذا يترجم  
عزود الأم. وسبغ قيل هو دار في القلب تنهيب، وصدع في الكبد  
لا يشعب. واعتد معنى الشرك قيل في حد التوبة إنه خلع لباس الجماعة  
ونشر بساط الوفاء. وقال سهل بن عبد الله التستري: التوبة تبديل الحركات  
المدمومة بالحركات المأمورة. ولا يتم ذلك إلا بالخبرة، والصمت، وأكل  
الخلل. وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من توبة

والأقوال في حدود التوبة لا تنحصر. وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة،  
وتلازمها وترتبطها عرفت أن جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع  
معانيها. وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ عردة



(٥) حديث الدم بوبه بن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه استاذنا من حديث ابن مسعود ورواه ابن  
حبان وذكره من حديث أبيه وقال صحيح على شرط الشيخين  
(٦) عريجه (٧) الصدع الشق، والانشاب، الانقطع



## المفصل الثاني

### بيان وجوب التوبة وفضلها

أعم أن وجوب التوبة صمد للأحبار والآيات، وهو واضح من  
الصورة عند من اعلم بخصايصه، وشرح الله نور الإيمان صدره حتى أهدى  
عن أن يسمى سورة الذي من يديه في طمس جهل، معباً عن ذلك بمؤداه  
في كل حصوه. فسلالت إم أعمى لا يستغنى عن فائدة في حصوه، وبما شير  
يهدى إلى نور. بصيرة ثم يهدى نفسه. وكذا في صريح معنى  
يتسمون حد الانقسام من قاصر لا يقف عن محبة الله في حصوه،  
يفقر إلى أن يسمع في كل فمه صاعاً من كذبة تفسد رسوبه، وبما يحوره  
ذلك فيتحور. فسور هذا وإن طال عمره وعبد جده مختصر، وخطاه قاصره.  
ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام، فهو عن نور من ربه، فبنته بأدنى  
إشارة لسلوك طريق معوضة، وقطع عقبات متعبة. ويشرق في قلبه نور القرآن  
ونور الإيمان. وهو لشدة نور باطنه يخترقه. فبى بيان، فكأنه يكاد زيته يضيء  
ولو لم تمشته نار. فإذا مشته نأز فهو نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء  
وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة.

(٨) حديث الأخبار العامة على وجوب التوبة: مسلم من حديث الأخر المزني بأبيه الناس توبوا إلى الله  
الحديث: ولابن ماجة من حديث جابر بأبيه الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا - الحديث: وسنة  
صحيح

## ماذا يفعل من أراد أن يعرف وجوب التوبة ؟

فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة ، فليطوّل أولاً بنور البصيرة إلى التوبة ما هي ، ثم إلى الوجوب . معناه : ثم يسمع بين معنى الوجوب والتوبة . فلا يشتك في ثبوته . ذلك بأن يصح معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد ، والنجاة من هلاك الأبد ، فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه ، لم يكن لوصفه بكونه واجباً معنى . وقول القائل صار واجباً بالإيجاب حديث محض . فإن ما لا غرض لنا أجلاً وعاجلاً في فعله وتركه ، فلا معنى لاشتغاله به أو جبهه عليها غيرنا أو لم يوجبه . فإدراك عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد ، وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلا في رضا الله تعالى . وأن كل محبوب عنه يشتكى لا محالة ، يحول بينه وبين ما يشتهي ، يخترق بند الفراق . فالحجج وعدم أنه لا مبعث عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات . لأن الله تعالى . ولا كتاب عن حب ما لا يد من فراقه قطراً ، وعلم أنه لا مقرب من رضا الله ، لا يقع علامته نصب عن رحمة هذا العالم ، والإقبال بالكنية على الله تعالى لأنس به بدوام ذكره ، وللمسحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته .

## لزوم التوبة للعبد

وعلم أن الذنوب التي هي إغراض عن الله ، واتباع خباب الشياطين أعداء الله المبشرين عن حضرة ، سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله تعالى . فلا يشتك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب . وإنما يتم الانصراف بالعلم ، والدم ، والعزم فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن

المحبوب لم يدم ، ولم يتوحد بسبب صنوفه في طريق العبد . وما لم يوحج به يرجع . ومعنى الرجوع الترتب والعزم فلا يشتك في أن البعد الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب . وهكذا يكون الإقبال الحاصل عن نور البصيرة . وأن من لم يترشح مثل هذا البعد المرتجع دروته في حلول أكثر الحلول ، فهي والاتباع له مجال رتب ، يتوصل به إلى السعادة من الهلاك ، فليلاحظ فيه قول الله ، وقول رسوله . « قُلْ لِّلصَّالِحِينَ . فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَتَوَنُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ » وهذا أمر على العموم . وقال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَنُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ الآية . ومعنى النصوح حاله لله تعالى حالاً عن شوائب مأخوذ من الصبح . ويدل على معنى توبته قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ . وقيل عليه « سلام » . الثالث حيث الله والثالث من الذنوب كمن لا ذنب له .

## فرح الله بتوبة العبد

وقال رسول الله ﷺ : « الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض فؤوة مهلكة » <sup>(١١)</sup> . « فَمَنْ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَوَصَّعَ رَأْسُهُ فَنَامَ »

(٩) البر ٢١

(١٠) التجرم ٨

(١١) البقرة ٢٢٢

(١٢) حديث الثالث حبيب الله والثالث من الذنوب كثير لا ذنب له : ابن ماجه من حديث ابن مسعود بالخط الثاني دون الأول وإنما الخط الأول مروى في تاريخ الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب القرب من حديث أنس بن مسعود « إن الله يحب الشاب القاتل » ولبيد الله بن أحمد في زوائد المستند وأبو يعلى بن عبد الله من حديث علي « إن الله يحب العبد المؤمن يقضي التوب » .

(١٣) حديث في الفرح بموت المؤمن من رجل يرب في أرض فؤوة مهلكة - الحديث . معنى عليه من حديث ابن مسعود وأنس بن مالك في حديث أنس لم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبي وأنا ربك أعطيت من شدة الفرح ورواه مسلم بدون هذه الزيادة من حديث الثعلبي بن بشر ومن حديث أبي هريرة مختصر .

(١٤) سورة الفاتحة ، والفاتحة الواقعة .

نَزَمَةٌ فَاسْتَقِظَ وَقَدْ دَهَتْ رَاحِلَتُهُ فَطَلَبَهَا حَتَّى إِذَا اسْتَقْدَّ عَلَيْهِ الْخَرُّ وَالْمَطَرُ  
أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَائِي الَّذِي تَخُتُّ فِيهِ فَأَنَامَ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ  
رَأْسَهُ عِنْدَ سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَقِظَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ عَلَيْهَا زَاذَةٌ وَضَرَابَةٌ فَاللَّهُ  
تَعَالَى أَشَدُّ قَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا يَرَا جَلِيلِهِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ قَرِ  
مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ ، إِذَا أَرَادَ شُكْرَ اللَّهِ ، أَنَا رَبُّكَ وَأَنْتَ عَبْدِي

ويروى عن الحسن قال : لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام : هاتته  
الملائكة . وهبط عليه جبريل وميكائيل عندهما السلام . فقالا يا آدم قرئت عليك بتوبة  
الله عليك . فقال آدم عليه السلام : يا جبريل ، من كان بعد هذه التوبة سؤال  
فأين مقامي ؟ فأوحى الله إليه يا آدم ، ورثت ذريتك التعب والعصب ، وورثتهم  
التوبة . فمن دعاني منهم ليت كما ليث ، ومن سألتني المعفرة لم أخل عليه ، لأن  
قريب محبوب يا آدم ، وأحشر الناس من القبور مستبشرين صاكرين ،  
ودعائهم مستجاب . والأخير والآخ في ذلك لا تحصى ، والإجماع معقد من  
الأمّة عن وجوبها ، إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من  
الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ، ولكن قد تدهش الخلة عنه فمعنى  
هذا العلم إزالة هذه المعلقة ، ولا خلاف في وجوبها .

ومن معانيها ترك المعاصي في الحال ، والتمس على تركها في الاستقبال ،  
وتلارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال ، وذلك لا يشك في وجوبه وأما  
الندم على ما سبق ، وسحره عليه . فوجب وهو روح التوبة ، وهو تمام  
الطلاق فكيف لا يكون وحياً ! بل هو نوع أم يحصل لا محالة ، عقب حقيقة  
المعرفة بما فات من العمر وصاح في سخط الله

فإن قلبه نادم فبأنه لا بد من ندم تحت الاحتيار ، فكيف  
يوصف بالوجوب ؟

فدعنا أن سببه تحقيق العلم بدوام المحبوب وأنه سبيل إلى تحصيل منه  
ومثل هذا المعنى دخل العلم تحت وجوب ، لا معنى أن الندم يحمله العبد

ووجدته في نفسه ، فإن ذلك محال . بل حسبه والندم ، ويعمل ، والإله .  
والقدرة ، والقاهرة ، الكل من حسبه ومعنه **والله خلقكم وما  
تعملون** <sup>(١)</sup> هذا هو الحق عند قوى بصائر ومسيرى هه صلا

## بحث في أفضل العبد وهل له اختيار

فإن قلبه أقبل للعبد الحبيب ، فعل والحرارة قد معه ووددت  
لا يافض قوماً إن الكل من حسن الله تعالى بل الأحب أيضاً من حب الله  
والعبد مضطر في الاختيار الذي به فإنه لا بد من الله الصحيحة ، وحق  
العدم السديد ، وحق الشهوة المنفعة في نفسه ، وحق العلم في نفسه أن هذا  
العدم يمكن الشهوة ، وحق خواص المعرفة في أن هذا الضمير هل فيه  
مصرة مع أنه يمكن الشهوة ، وهل دون ما يمنع يعبر معه تناوبه ثم لا ، ثم  
حق العلم بأنه لا مانع ، ثم عند الاحتياج منه لأسباب سحر لإرادة الدعته على  
النول فاعرف الإرادة بعد تردد الخواص المتعارضة وبعد وقوع الشهوة  
لنفسه يسمى اختياراً ، ولا بد من حصة عدم أسسه فإذا حصل حرام  
الإرادة خلق الله تعالى يده ، تحركت له صحيحة في جهة النقصان لا محالة  
إذ بعد تمام الإرادة والقدرة ، يكون حصل الفعل ضرورياً فتحصل الحركة ،  
فكأن الحركة خلق الله بعد حصول القدرة والحرارة لا بد ، وهما أيضاً من  
خلق الله . وحرام الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم المنافع ،  
وهما أيضاً من خلق الله تعالى . ولكن بعض هذه المصروفات يترتب على البعض  
قرئياً جرت به سنة الله تعالى في خلقه . ليس بعد سنة الله تدبيراً ، فلا يحسن الله  
حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيه صفة تسمى قسرة ، وما لم يخلق فيه  
حياة ، وما لم يخلق لإرادة مجزومة ، ولا خلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة

(١٥) الصفات : ٩٦

ومثلاً في النفس ولا يصح هنا الميل لثبوتنا تأخره لم يخلق عند تأخره موافق  
لنفسه، بل في الخلق أو في مآله ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخرى  
ترجع إلى حركة وزرعه وعلم والميل الطبيعي أي بما يستوعب الإرادة  
الجارية، والقدرة والإرادة مبدأ سرور الحركة، وهكذا ترتيب في كل  
فعل. ولكن من اختراع الله تعالى. ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض.  
عندئذ يجب تقدم البعض وتأخر البعض، كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم.

العبارة بقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(١١)</sup> وعن القضاء الكللى الأربلى العبارة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾<sup>(١٢)</sup> وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر. ومن حلة القدر خلق حركة في يد الكاتب، بقدر خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جائز في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمنفعة.

(١٧) القاموس ٤٩

7A

[illegible]

ومن حرك سبيله لأبى - و - ع - ف - ك - ح - و - ع -  
 ارتد عا - سبيل - لأبى - و - ع - ف - ك - ح - و - ع -  
 لا حول إلا الله ، ولا قوة إلا الله

وَعَلِمَ أَن جَمْعَهُ مِنَ الْمَعْبُودِ هُوَ خَلْقُهُ فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ إِلَىٰ أَسَدَةِ حَيَوَانَاتٍ

٧ الأضواء



من مشاهدته ومعرفة بالشيء الذي تقدر عليه، فمعرفة فسادنا وفسادنا إلى  
 سرور مودع به نفس جسد عن رغبة وودع به بعصبه على نابه، وودع به  
 بعصبه على أذنه فودع به عروقه فودع به عروق فودع به عصبه  
 وحسب أخوته فودع به من راحل إلى من راحل إلا من سجد به  
 حبه صهر، إلا أنه ليس من راحل إلى من راحل من كماله، بل  
 هو صلب لا من فيه، وأمس لا حسبه فيه، وليس في عطف لأصوبه  
 فساد، بل هو من عود وودع به من شل إلى شل من راحل إلى راحل  
 حسبه فصدق أحدهم فيه ولكن من راحل إلى راحل من عود، ولا هو من  
 مصوبة، بل هو من راحل إلى راحل من عود ولكن واحد من هؤلاء صدق من  
 وجه، إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة غير، وهو حرج واحد في حبه  
 عن وصف الغير، ولكنه حبه فصره عن إحصائه كنه صدقة غير  
 اختصر بهذا المثال وعبر به، فيه من آثاره حجب من فيه وودع به  
 هذا كلاماً يسلط علوم المكاشفة ويحدث أمر حجب، بل ذلك من عرف

## وجوب التوبة بجميع أجزائها

فليرجع إلى ما كنا بصدده وهو بلاد أد التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة.  
 العبد، والدم، والترك، وأن الله دحل في الوجوب، كونه واقفاً في جهة  
 أعمال الله المحصورة بين علم العبد، وادته، وقدرته المتحللة بها، وما هذا  
 وضعه فاسم الوجوب يشملها.



## الفصل الثالث

### بيان أن وجوب التوبة على الفور

أما وجوبها على الفور فلا يستتاب فيه. إذ معرفة كون المعاصي مهلكات  
 من نفس الإيمان، وهو واجب على الفور، والمتقضى عن وجوبه هو الذي عرفه  
 معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه. فإن هذه المعرفة ليست من علوم  
 المكاشفات التي لا تتحقق بعمل، بل هي من علوم المعاملة. وكل علم يراد  
 ليكون باعثاً على عمل فلا يقع لتقصي عن عهده ما لم يصر باعثاً عليه. فالعلم  
 بضرر الذنوب إما أن يريد ليكون باعثاً على تركها فمن لم يتركها فهو باقيد لها  
 اجرة من الإيمان. وهو أراد بقوله عليه السلام (١) "لا يؤمن الزاني حين  
 يزني وهو مؤمن" وما أراد به نفس الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة،  
 كاحسب بالله ووحديته، بصحته، وكتبه، وورسنا، فرب ذلك لا يفي به ترك  
 والمعاصي. وإنما أراد به نفس الإيمان لكون الرضا مبعداً عن الله تعالى. موجياً  
 لسقته. كما إذا قال الطبيب: هذا سم فلا تتلوه فإذا تناولته يقال تناول وهو  
 غير مؤمن، لا معنى أنه غير مؤمن بوجود حبيب، وكونه صيباً وغير مصدق  
 به. بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك. فإن العالم بالسم لا يتناول  
 أصلاً. فالمعاصي بضروره باقصة الإيمان. وأمس الإيمان من واحد، بل هو  
 سب وسبعون باباً، أعلاها شهادة لا إله إلا الله، وأدناها إمامه الأدنى عن  
 الصريح. ومثاله قول القائل: ليس إلا بيسن موجداً واحداً، بل هو نيف  
 وسبعون موجداً، أعلاها القلب والروح وأدناها إمالة الأذى عن البشرية،  
 بأن يكون مقصود الشارب، مقلوم الأضفار، تقى البشرية من الخبث، حتى

(٢٠) حديث لا يؤمن الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة

يسمى عن اليهائم مرسنة الموت بآرائها المسكرمة الصو بطور محالها  
وأنظاري

وهذا مثال مضائق الإيمان كالإيمان وفقدان شهادة التوحيد يوجب  
البطلان بالكلية كفقده الروح ، والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو  
كإنسان مقطوع الأطراف مفقود العينين ، فاقد لجميع أعضائه الباهنة  
والطاهرة ، لا أصل الروح . وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت ، فزايده  
الروح الصحيمة ، المنردة ، التي تخلف عنها الأعضاء التي عدها وتقريبها ،  
فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان ، وهو مقصر في الأعمال ، قريب من أن  
تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة ، الحركة للإيمان في مقدمة قدوم  
موت الموت ووروده . فكأن إيمان لم يثبت في اليقين أصله ، ولم تنتشر في  
الأعمال مروه ، لم يثبت على عواصف الأحوال عند ظهور ناحية ملك  
الموت ، وخيف عليه سوء الخاتمة ، لا ما يستحق بالطاعات على توالي الأيام  
والساعات ، حتى وسخ وثبت . وقول العاصي للمطيع : إني مؤمن كما أنت  
مؤمن ، كقول شجرة القرم لشجرة الصوبير أو شجرة وأنت شجرة  
وما حسن جواب شجرة الصوبير إذ قالت : ستعرفين غترارك بشمول الاسم  
إذا عصفت رياح الخريف ، فعند ذلك تنقطع أصولك ، وتنتثر أوراقك ،  
ويتكشف غرورك بالمشاركة في أسم الشجرة مع العدة عن أسباب ثبوت  
الأشجار .

وسوف ترى إذا انجلي الغبار - أفرسك لعتك أم يجماز  
وهذا أمر يظهر عند الخاتمة . وإنما تنقطع لياط العابدين خوفاً من دواعي الموت  
ومقدماته الخائفة ، التي لا يثبت عليها إلا الأقلين . بالعاصي إذا كان لا يخاف  
الموت في الغار بسبب مصيته ، كالصحيح المنهك لالشهوات المصرة إذا كان  
لا يخاف الموت بسبب صحته . وإن الموت غالباً لا يقع فجأة ، فيقال له :  
الصحيح يخاف المرض ، ثم إذا مرض يخاف الموت وكذلك العاصي يخاف سوء



لخدمة ، ثم يد حتم به بالسوء والحدود لله سبحانه في النار فالمدعى بالإيمان  
كأماكولات المنصبة بالأيدي ، فلا تزال حية في الدار حتى تغير مرجح الأحوال  
وهو لا يشعر بها ، إلى أن يفسد المرجح . مدعى دفعه ، ثم يموت دفعه . وكذلك  
المدعى فإذا كان الخائف من الهلاك هذه الدنيا بقضية عابثة  
السموم ، وما يصور من المأكولات في كل من . بعض الصور ، فالحال من هلاك الأبد  
أولى بأن يجب عليه . وإذا كان متجاوزاً الله إذا ندم يجب عليه أن يتقياً ، ويرجع  
عن تهاونه بإبطاله وإخراجه عن المعتمد . من سبيل العور والفاخرة ، ثلاثاً يهتده  
استرف على هلاكه لا يفوت عليه إلا هذا . سبب العدة ، فتتأول محرم الدين وهي  
الدنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عن اعتدائه الصلح ، ما دام يبقى للتدراك  
مهلة وهو العمر ، فإن اغترب من هذا . قوب الأجرة الباقية ، التي قد سعيه  
المقيم ، والملك العظيم ، وفي هذا سر حليم ، وعذاب المقم الذي نصير  
أصعاف أعمار الدين دون عشر عشر . يد يس منه حر أئنته هاليسر  
للبدن إلى القوة ، قبل أن تعمل مجموع الموت بروح الإيمان عملاً يحوز الأمر فيه  
الأطباء واختيارهم ، ولا يقع بعده الامتناء ، فلا يندفع بعد ذلك نصيح  
الناصحين ، ويعطى الرغبتين ، وتمنح الكب عليه بأه من الهالكين ، ويحل تحب  
عموه قوة تدعى إنا جعلنا في أديهم أعلا لا يهي إلى الأدفان لهم  
مُفْتَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا فَأَعْتَبْتَهُمْ فَنَسُوا  
تَبَصُّرُونَ وَسَاءَ عَنِيهِمْ أَلَدَرْتَهُمْ أَمْ كَمْ نَدَرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ولا يعرف  
نعت الإيمان فتقرب المراد بآية الكرم . يد يد من أن إيمان صعب وسعور  
باباً ، وأن الزاني لا يرى حيث يرى وهو يؤمن . فالحجوب عن الإيمان الذي هو  
شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن إيمان الذي هو أصل . كما أن الشخص  
المعاند لجميع الأطراف التي هي حروب ومروع ، مسباق إلى الموت ، المعلم  
للروح التي هي أصل ، فلا بناء للأمر دون الموع ، ولا وجود للفرع دون

(٢) من ١٠٠٨

### الفصل ١٠

## أن وجوب لتوبة عام ، ولأن حوطاً فيه ينفك عنه أحد البتة

قد ورد في غير هذا . إذ قد تدعى ﴿ وَتُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ ﴾  
مُكْمٌ تَفْتَحُونَ ﴿١٠﴾ اسم الخلدات وصور البصيرة أيضاً  
وهو الرجوع عن ما قد سعى عنه من ذلك ، مغرب من

لا من عاقب ، ولا تدعى مغربه مغرب لا بعد كان مغربه  
سائر انصدت المدعى التي هي وسائل الشيعات إلى  
أن تعقل إيم يكون من مغربه لأرباب وأصده بمديته  
، وسدديه تظهر من سبع سنين . والشهوات محمود  
جنود الملائكة . فإذا جمع قام القتال بينهما بالضرورة ،  
لأنهما لهما ضلوك . التطارد بينهما كالتطارد بين الليل  
بلحمة . ومهما غلب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة . وإذا  
أهل في الصبا والشهوات قبل كمال العمل ، فقد سبق جنود  
على المكائد ، ووقى للقلب به أنس ، وألف لاهلته  
بالعده . وغيب قلبه عنه ، ويحسر عنه الروح عنه . ثم  
و حرب الله وجنته . وبعد أولياته من أيدي أعدائه شيء  
فإن لم يبق ولم يحسب . سلبت ملكة القلب للشيطان ،

الأصل ، ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في شيء واحد ، وهو أن وجود الفرع  
وغايه جميعاً يستدعي وجود الأصل ، وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود  
فرع معه الأصل بالفرع ، ووجود الفرع بالأصل ، فعلوم المكاشفة وعلوم  
المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والأصل ، فلا يستغنى أحدهما عن الآخر . وإن  
كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة السطح . وعموم المصنف إذ لم يكن  
باعظه على العمل فعدمها غير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي نرد  
له . قامت مؤيدة للحجة على صاحبها . ولذلك يزداد في عذاب العالم العاقر على  
عذاب الجاهل العاقر . كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم



## الفصل الثاني

بيان أن وجوب التوبة عام

في الأشخاص والأحوال فمن يترك عنه أحد البتة

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على أن التوبة واجب على كل من توبه إلى الله  
جميعاً أيها المؤمنون لعنكم أنفسكم كما أن الله سبحانه وتعالى هو الصيرورة  
يرشد إليه ، معنى التوبة يرجع عن ذنوبه من الله ، فرب  
شيء .

ولا يتصور ذلك إلا من عرف ، ولا تبت عليه غيره ، ولا تبت عليه غيره  
الشهوة ، والغضب وسائر الشهوات فلهذا هي هي وسائل شيطان إلى  
إغواء الإنسان ، إذ كان العقل إما يكون ما يدرسه لأربعين رأسه في يوم  
عند مراقبة البلوغ ، ومبادئه نصير . من سبع سنين . وسهوات وجود  
الشيطان ، والعقول جنود الملائكة ، فإذا جسد قام القلب بينهما بالضرورة ،  
إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأحدهما ضيقان . وانتظار بينهما كالتصديق بين الليل  
والنهار ، والنور والظلمة . ومهما علي أحدهم أروع الآخر بالضرورة . وإذا  
كانت الشهوات تكمل في الصبا والشبه في كمال العجز ، فقد سبق جد  
الشيطان ، واستولى على المكان ، ووقع القلب به أس ، وألف لا محالة  
مقتضيات الشهوات بالمادة . وغلب ذلك عليه ، ويصر عليه الفروع عنه . ثم  
يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنته . ومنقذ أولياته من أيدى أعدائه شيئاً  
مشيقاً على التدرج ، فإن لم يفر ولم يكر . سمى منك عبثاً للشيطان .

وأمر اللعين موعده حيث قال ﴿لَا تُجِيبُنَّ دُعَاةَ قَوْمِكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وإن كسر العقل وقوى، كان أول شعله قمع حدود الشيطان بكسر جهوت، ومعرفة العادات، ورد الصبح على سبب انقراض النعمات. ولا معنى حسنة إلا هذه، وهو الرجوع عن طريق، دسه الشهوة، وحتمه شيطان، إن صريق الله تعالى وليس في موجود آدمي إلا وسهونه سابقة عن نفسه، وشريرته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة، فكأن رجوع عبدا سبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل إنسان، نبياً كان أو عبداً، فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام. وقد قيل.

فلا تحسبن هنداً لها العذر أحد  
سجدة نفس كل غانية هند

بل هو حكم أنزل مكتوب على جنس الإسم، لا يمكن فرض خلافه ما لم تبدل السنة الإلهية التي لا مطمع في تبديلها. مرد كل من بلغ كافراً جاهلاً معية التوبة من جهله وكفره. فإذا بلغ مسلماً تبعاً لأبيه، غافلاً عن حقيقة إسلامه، فعليه التوبة من غفلته بفهم معنى الإسلام، فإنه لا يغنى عنه إسلام أبيه شيئاً ما لم يسلم بنفسه، فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عاداته وإلمه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف، بالرجوع إلى نسب حدود الله في المنع والإصلاح، والامتناع، والاسترسال، وهو من أشق أبواب التوبة، وفيه هلك الأكثرين، إذ عجزوا عنه. وكل هذا رجوع وتوبة.

فدل أن التوبة فرض عين في حق كل شخص، لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر، كما لم يستغن آدم. فخلقة الولد لا تنسح لما لم يتبع له خلقة الوالد أصلاً.

وأما بيان وجوبها على الدوام، وفي كل حال، فهو أن كل بشر فلا يخلو من معصية يجول روحه. إذ لم يخل عنه الأنبياء، كما ورد في القرآن والأخبار من

خطايا الأنبياء، وتوبتهم، وبكائهم على خطاياهم. فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الغم بالذنوب بالقلب فإن خلا في بعض الأحوال عن الغم، فلا يخلو عن وسوس الشيطان بإيراد الخواطر المشرقة المذهلة عن ذكر الله. فإن خلا عنه، فلا يخلو عن غفلة وقصور في الغم بالله، وصغاته، وأفعاله وكل ذلك نقص. وله أسباب، وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده، والمراد بالتوبة الرجوع. ولا يتصور الخلو في حق آدمي من هذا النقص، وإنما يتفاوتون في التقدير. فأما الأصل فلا بد منه. ولما قال عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى قَلْبِي حَيٌّ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَتِينَ مَرَّةً﴾، أحسب. ولذلك بكرمه الله تعالى بأن قال ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَلَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَتَتَابَعِرْ﴾<sup>(٢٤)</sup> وإذا كان هذا حاله، فكيف حال غيره؟

فإن قلت: لا يخفى أن ما يقرأ على القلب من لحوم والخواطر نقص، وأن الكمال في الخبر عنه، وأن القصور عن معرفة حال الله نقص، وأنه كلما اردادت المعرفة زاد الكمال، وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع، والرجوع توبة، ولكن هذه فصائل لا تراعى، وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال، والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة، إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع. فما المراد بقولك لتوبة واجبة في كل حال؟

فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقه من اتباع الشهوات أصلاً. وليس معنى التوبة تركها قطعاً، بل كنهه توبة بتدارك ما مضى. وكل شهوة اتبعها الإنسان لارتفع منها ظلمة إلى قلبه، كما يرتفع عن نفس الإنسان ضمة إلى وجه المرأة الصقيلة. فإن تراكمت ضمة الشهوات صار رباً، كما

(٢٤) حديث أنه لقمان على النبي فاستغفر له في اليوم والليلة مائة مرة: مسلم من حديث الأعرابي إلا أنه قال في اليوم مائة مرة وكلما عد أن موافقاً للخطيئة من حيث أتى فمر مرة إلى الاستغفار لله في اليوم أكثر من مائة مرة وفي رواية البخاري في الشعب سبعين لم يخل أبداً وتقدم في الأذكار والدعوات.

في صير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه غيباً، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢٧) فإذا تراكم الرين صار طبعاً (٢٨)، فيطبع على قلبه، كالخشب على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه، غاص في جرم الحديد وأفسده، وصار لا يقبل الصقل بعده، وصار كالمنطوق من الحبث. ولا يكفى في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل، بل لا بد من محو تلك الأرياف التي انطبعت في القلب. كما لا يكفى في ظهور الصور في المرأة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل، ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الأرياف. وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات، فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتضحى ظلمة انصبة بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام (٢٩): «أبج السينة الخمسة تنفحها».

فإذا لم يستغنى العبد في حال من أحواله عن محو آثار السينات عن قلبه، بمباشرة حسنات تصاد آثارها آثار السينات هذا في قلب حصل أولاً صفاته وجلالته، ثم أنظم بأسباب عارضة.

فأما التصقل الأول ففيه يطول الصقل، إذ ليس شغل الصقل في إزالة الصلابة عن المرأة كمشغله في عمل أصل المرأة. فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلاً. وكل ذلك يرجع إلى التوبة.

فأما قولك: إن هذا لا يسمى واجباً، بل هو فضل وطلب كمال، فهاهم أن الواجب له معنيان أحدهما: ما يدخل في خوى الشرع، ويشترك فيه كافة الخلق، وهو القدر الذي لو اشتمل به كافة الخلق لم يخرّب العالم، فلو كلف الناس كلهم أن يحقوا الله حق ثقافته لتركوا المعاش، ورفضوا الدنيا بالكفة. ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية، فإنه مهما فسدت المعاش لم يفرغ

(٢٦) انظر ص ١٤٠

(٢٧) الطبع: نظم، والرين: غيب الوسخ.  
(٢٨) حديث أبي السيرة الحنفية لهما: الترمذي من حديث أن طر زيادة في قوله وآخره وقال حسن صحيح وقد تقدم في رتبة النفس.

يحد للتقوى بل شغل احبائه، والحرقة، والخير يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه، فجميع هذه الدرجات يست بواجبة بهذا الاعتبار.

والواجب الثاني: هو الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين، والمقام المحمود بين الصديقين. واليه من جميع ما ذكرناه واجبه في الوصول إليه. كما يقرر الصلوة واحدة في صلاة الطلوع، أي لمن يريد، فبه لا يحصل إليها إلا بها. فأما من وصى بالصدق والحرمان عن فصل صلاة النصوص، فانصهرة يست واجبة عليه لأجله كما يقال العين، والأذن، واليد، والرجل، شرط في وجود الإنسان. يعني أنه شرط لمن يريد أن يكون إنساناً كاملاً ينتفع بإنسانيته، ويحصل بها إلى درجات العلا في الدنيا. فأما من قبح بأصل الحياة، ووصى أن يكون كالحم على راسه (٣٠)، وكخزلة مطروحة. فليس يشترط من هذه الحجة عن، ويد، ورجل، فأصل الواجبات الداخلة في تقوى العامة لا يحصل إلا إلى أصل السجدة. فأصل النجاة كأصل الحياة، وما وراء أصل السجدة من السعادات التي بها تنقضي حياة، يجرى بحرى الأعضاء والآلات التي بها تنبأ الحياة، وفيه معنى الأنبياء والأولياء والعلماء والأمثل فالأمر، وعليه كان حرصهم، وحواله كان عند فهم، ولأجله كان رفضهم ملاذ الدنيا بالكلية، حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجراً في ساه، فجاء إليه الشيطان وقال: أما كنت تحركت الدنيا للأخرة؟ فقال نعم وما الذي حدث؟ فقال توسدك لهذا الحجر تنصرف الدنيا، فلم لا ترفع رأسك عن الأرض؟ فرمى عيسى عليه السلام بالحجر، ووضع رأسه على الأرض وكان ربه يحجر توبه عن ذلك السعد. فمرمى عيسى عليه السلام به بعد أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجباً متناهي العامة؟

أفترى أن نبيا محمداً ﷺ لما شعلته النبوة الذي كان عليه علم (٣١) في

(٢٩) الوضوء: خشية البحر التي يمنع التعمير فلهذا والفرقة أقدم من أمر نفسه شيئاً  
(٣٠) حديث زرعة بن علي الذي كان عليه في الصلاة: تقدم في الصلاة أهد  
(٣١) علم النبوة: رؤيته ورفقه

صلاته حتى نزعه<sup>(٣٢)</sup>، وشعبه شيراك<sup>(٣٣)</sup> نعله الذي جلده حتى أعاد الشرايين الخلق، لم يعلم أن ذلك ليس واجباً في شرعه الذي شرعه لكفة عباده؟ إذ علم ذلك فلم تلب عنه بتركه؟ وهل كان ذلك إلا لأنه رآه مؤثراً في قلبه أثراً يحميه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به؟

أخبرني أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب الخمر، وعلم أنه على غير وجهه، أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه، حتى كاد يخرج معه روحه، ما علم من العنة هذا القدر، وهو أن ما أكله عن جهل فهو عمر آثم به، ولا يجب في حق من أكله إخراجها فلم تلب عنه بتركه بالتدراك على حسب إمكانه بتجلية العنة عنه؟ وهل كان ذلك إلا لئلا يقر في صدره، عرفه ذلك السر أن قنوى العنة حديث آخر، وأن خطر طريق الآخرة لا يعرف إلا الصديقون؟

فأتمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف بحق الله بالله، وبطريق الله، وبمكر الله، وبممكن الغرور بالله. وإياك مرة واحدة أن تترك الحياة لندبا، وإياك لم إياك ألف مرة أن يترك بالله الغرور<sup>(٣٤)</sup>. فهذا أسرار من استشقى مبادئ روائعها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه، ولو همز غمز نوح، وأن ذلك واجب على المور من غير مهلة. ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال: لو لم يك العاقب ما بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة، وكان خليفاً أن يخرجه ذلك إلى الممات. فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله! وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهره نفيسة: وصاعت منه بغير فائدة، بكى عليها لا محالة. وإن ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه، كان بكاؤه منها أشد. وكل ساعة من العمر، بل كل نفس جوهر نفيسة، لا تحلب لها، ولا يبدل منها، فإنها صالحة لأي توصلك إلى سعادة الأبد، وتفقدك من شقاوة الأبد. وأي جوهر أنفس من هذا؟ فإذا صيغتها في الغفلة، فقد

(٣٢) حديث نزعه الشراك الجديد وإعادة الشراك الخلق: تقدم في الصلاة أيضاً.

(٣٣) شراك المل: سوء العمل من طهر القدم.

(٣٤) الغرور: بفتح الغين - الشيطان.

حسرت حمران نبيها وإن صرفتها إلى معصية، قد هلكت هلاكاً وحشاً. ومن كنت لا تيكى على هذه المعصية، فذلك حيثك ومصيبك بجهلك أعظم. من كل معصية، لكن الجهل بمعصية لا يعرف المصائب بما أنه صاحب معصية. من نوم العلة يحول به وبين معرفته، والناس نيام، فإذا ماتوا لم يجدوا. بعد ذلك يكشف لكل مفلس إفلاسه. ولكل مصاب معصيته. وقد رفع ساس عن التذكير.

قد نعت العارفين: إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد، أعلمه أنه قد بقي من عمره ساعة، وإثنت لا تستأخر عن طرفة عين. فينبو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت الدنيا بمساقرها<sup>(٣٥)</sup> تخرج منها: على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى، ليستحب فيها ويسرك تقريطه، فلا يجد إليه سبيلاً. وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى ﴿وَجِيلَ يَتَنَبَّهْ وَيُنْهَى يَنْتَهُونَ﴾<sup>(٣٦)</sup>، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿مَنْ قُلْ أَنْ يَأْتِيَ أَخَذَ كُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَسْتَفْتِي وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾<sup>(٣٧)</sup> فقبل الأجل قريب سدى يصسه معاه أنه يقول عند كشف العطاء للعبد: يا ملك الموت، أخرجني يوم أعتبر فيه إلى ربّي وأتوب، وأترود صالحاً لمسى فيقول: فب الأيام فلا يوم. فيقول فأخرجني ساعة. فيقول: فب الساعات فلا ساعة فينلق عليه باب التوبة، فيترعرع بروحه، وتزداد أنفاسه في شر أسف، ويتجرع عصاة اليأس عن التدارك، وخسرة التذامق على تصحيح العمر، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال. فإذا زهقت نفسه، فإن كان سبق له من الله الحسنى، خرجت روحه على التوحيد، فذلك حسن لطافة. وإن سبق له القصد بالسفوة ولعبد بالله، خرجت روحه عن الشك والاضطراب، وذبح سوء الحجة. ولعل هذا يدل: أوليت التوبة للذي يعملون السيئات حتى إذا حصر أحدكم الموت قال إني كنت الآن<sup>(٣٨)</sup>. وقوله ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾<sup>(٣٩)</sup> ومعاه عن قرب عهد

(٣٥) حلق الشئ: أماله ورواحه الواحد حمران وكسر حمر.

(٣٦) ساء: ٣٨ (٣٧) الماشقون: ١٠ ١٨ (٣٩) ساء: ١٧



مخضبة من سدر عذب ، ويحوت نوره حنة يرددها من أن يتركه ليرى عن  
الذهب فلا يقبل الله

والمسك من تزيين ، أبيض السينة الحسنه ثمنها ، وحدث قد قعد لانه  
يا بلى لا تفرح النوبة ، من الموت إلى بعته ومن ترك استودع إلى النوبة  
مالتويف كان بين حصرين عصبي أحدهما أن تتركه نظمه على قلبه من  
مضحي ، حتى يصير ريباً وصعباً ، فلا يقبل المحو ، الذي أو يدخله  
خرص أو لموت ، فلا يجد منه ملاشعن باحو وحدث ورد في الخبر " إن  
أكثر حياض أهل النار من التثويف ، فما هلك من هلك " إلا بالتثويف  
فيكون تسويده عيب بقا ، وحلاؤه بالفضة بسيله ، إلى أن يصفه الموت  
فيأتي الله بقلب غير سليم ولا يحو إلا من أن الله بقلب سليم والقلب أمانة  
الله تعالى عند عبده ، والعمر أمانة الله عنده وكما سائر أسباب بضاعه من  
عنان في الأمانة ولم يتدارك حياته ، فأمره محط قد بعض بعد من إن الله  
تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإقام ، أحدهما إد حرج من نفس  
ألمه يقول له : عدي ، قد أخرجك إلى الدنيا طاهر نصيباً ، واسودعت  
عمرك واشتكت عه ، فحصر كيف تحفظ الأمانة ، وانظر إلى كيف تلقى  
وثنى عدا حروح روحه بقول : عدي ، ماذا صنعت في فاضي عندك ؟ هل  
حفظتها حتى تنقش عن عهد ، فذلك على وفاء ؟ أو أصعبها فذلك بمصائبه  
والعقاب ؟ وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (٤١)  
ويقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (٤٢)



(٤٠) الزمى . الطبع والنس . يقال وإن دابة على قلبه أي غلب قال أبو عبيد : في قوله تعالى  
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي غلب وقال الحسن رضي الله عنه : هو الذنب من  
الذنب حتى يتجاوز القلب . وقال أبو عبيد : كل ما خلك قد ران بك ورانته ورانته  
(٤١) حدث إن أكثر حياض أهل النار من التثويف لم يجد له أملاً  
(٤٢) البقرة ٢٠٠ (٤٣) المؤمن ٨



## الفصل الخامس

### بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذ فهمت معنى غوب ، ونشئت من كل توبه صحيحه فهي  
مقبولة ، فاصبرون بور ثنائير مسعود من راقب ، صبر على كل  
فب سليم مقبول عند الله ، وسعد في الآخرة . حو الله تعالى . ومستعد  
لأن يصير بعينه البقرة إلى روحه الله عن وعده بقلب سليم في  
الأصل ، وكل مولود يولد على الفطرة ، فمده به سلامة بكهارة بره  
وحجه من عبده المذنب وظلمت . وعلموا أن بدم تحرق تلك العترة ، وأن  
بور الحنة يحو عن وجه القلب ضمة تسعة ، لا طاقه لظلام المعاصي مع  
بور حسنة كما لا طاقة لظلام الليل مع نور ، بل كما لا قدرة بكهارة  
الوسخ مع بياض الصبون . وكما أن الثوب الموح لا يقبل صبغ لأن يكون  
لباسه والقلب المصطب لا يقبل صبغه الله تعالى لأن يكون . وكما أن سمس  
الثوب في الأعمال الخبيثة يوسخ الثوب ويوسخه بالصابون والماء الحار يطفئه  
لا محالة . فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب ، وعسل بماء الدموع  
وحرقه بدم بصره ، ويصبره . ويركيه . وكل من ركي صدره فهو مقبول ،  
كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول . فرب عيب بكهارة نصيب . فمحبون  
محبون قد سوره القصص ذكر الشقي ذمرد ، وهو يسمى فلاح في قوله  
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (٤٤)

ومن لم يعرف عن سبيل التحقيق معرفة قوى وأجل من المشاهدة بالبصر ، أن القلب يتأثر بالمعاشي والطاعات فائثاً متصداً ، يستمر لأحدهما لفظ الظلمة ، كما يستمر للجهنم ، ويستمر للآخر لفظ النور ، كما يستمر للعلم ، وأن يوم النور والظلمة تصاداً ضرورياً ، لا يتصور الجمع بينهما . فكأنه لم يبق من الدين إلا قشوره ، ولم يعلق به إلا أسنانه ، وقلبه في غطاء كئيف عن حقيقة الدين . بل عن حقيقة نفسه ، وصفات نفسه . ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل . وأعى به قلبه . إذ بقلبه يعرف قلبه . فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه .

فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل ، كمن يتوهم أن الشمس تطع والظلام لا يزول ، والثوب يمس بالصابون والوسخ لا يزول . إلا أن يفوض الوسخ لصابون تراكمه في ليوبيع الثوب وحلله ، فلا يقرى الصابون على قلعه . فمثال ذلك أن تراكم الدوب حتى تصير طبعاً وربنا على القلب . فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يهرب . نعم . قد يقول باللسان : تبت ، فيكون ذلك كقول القصار<sup>(١٨)</sup> بلسانه قد غسلت الثوب ، وذلك لا يظف الثوب أصلاً ، ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يصاد الوصف المتمسك به . فبعد حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد ، بل هو العائب على كافة الخلق المقلبين على الدنيا ، انصرف عن الله بالكلية . فهذا البيان كاف عند ذوى البصائر في قبول السوء . ولكننا معضد جناحه بنقل الآيات ، والأخبار ، والآثار فكل استبصار لا يسهل له الكتاب والسنة لا يوثق به . وقد قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾<sup>(١٩)</sup> وقال تعالى ﴿ غَايِرَ الذُّلْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾<sup>(٢٠)</sup> إلى غير ذلك من الآيات .

(١٨) قصار الذي يقب الثوب ويغسلها ويمسحها

(١٩) الشورى . ٢٥

(٢٠) طه . ٣٠

وقال عليه السلام : الله أقورخ بتوبة أخذكتم في الدنيا . والفرح وراء القبول بها دليل على قبول وزيدة . وقال عليه السلام : إذا فرح رجل بقبوله بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ولمسيء النهار إلى الليل ختم عليه الشئ من مغفرتها . وبسط اليد كتابة عن طلب التوبة . وحالب وراء الدين . ومن ليس بطالب ، ولا طالب إلا وهو قاتل . وقال عليه السلام : لو عملتم الخطيئة حتى تبلغ السماء ثم يدعكم لقاب الله عليكم . وقال أيضاً<sup>(٢١)</sup> : إن الله ليذيب الذلبي ليدخل به الجنة ، قبل كيف دلت يا رسول الله ؟ قال : يكون نصيب غيبه لا يأمنه قلوباً حتى يدخل الجنة . قال عليه السلام : كفاية الذلبي التذاتمة . وقال عليه السلام : القاب من الذلبي كذا لا ذلبي له .

ويروى<sup>(٢٢)</sup> أن حسناً قال يا رسول الله : إن كنت أعمل المعاصي ، فيلني من توبة ؟ قال نعم . فوئلي ثم رجعت فقال : رسول الله ، أكان يراني وأنا أعملها ؟ قال نعم . فصاح الجبشي صيحة خرجت فيها روحه . ويروى<sup>(٢٣)</sup> أن

(٢٨) حديث الله بسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار — الحديث : مسلم من حديث أبي موسى بن خلف بسط يده بالليل ليقب مسيء النهار — الحديث : وفي رواية ليعزال مسيء الليل أن يوب بالنهار — الحديث

(٢٩) حديث لو علمت خطايا حتى تبلغ السماء ثم يدعكم لقاب الله عليكم ابن ماجه من حديث أبي هريرة واسانه حسن بلفظ مو أخطأتم وقال ثم يد

(٣٠) حديث أن العبد ليدب ذلبي فيدخل به الجنة — الحديث : ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلاً ولأن ليع في الخلية من حلفت أن توبة أن العبد ليقب الذلبي فإذا ذكره أخرجه فإذا نظر الله إليه أنه أخرجه عنه له — الحديث : وفيه صحيح القري وهو رجل صالح لكنه مضى في الحديث ولا من أن الدنيا في التوبة من حديث ابن عمر أن الله يفتح العبد بالذنب بذنبه والمحدث غير مصور قاله السيل .

(٣١) حديث كفارة الذلبي التذاتمة : أحمد والقرطبي وهو في نصيب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمر ابن مالك الشكري ضعيف .

(٣٢) حديث إن حسناً قال يا رسول الله إن كنت أعمل المعاصي غيب من توبة قال نعم — الحديث : م أحمد به أصلاً

(٣٣) حديث إن الله لا يمس الممس سأل النظرة فانظره إلى جود القيامة قال وعزتك لاخرجت من قلب ابن آدم ما دم فيه الروح — الحديث : أحمد وأبو يعلى والحاكم . صحيحه من حديث أبي سعيد عن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أزال أفرى حياتك ما دامت قروصهم . أجسادهم فقال وعزتي وجلالي لا أزال أفرى لهم ما استغفروني أوردته المصنف بصيغة ويروى كذا و . . إلى أبي جحجحه مذكروته إيجاباً



وسرحنا روحهم في العلا، حتى أُنحوا في ريدس سعيم، وحاصروا في بحر الحياة، وردموا حادق الحرع وعبروا جسور الفؤى، حتى تزلزلوا بقضاء العلم، واستقوا من غدير الحكمة، وركبوا سفينة العطفة، وأتمعوا برين السحاة في بحر السلامة، حتى وصلوا إلى ريدس الراحة ومعذب العز والكرامة. فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة فتيمة لا محالة. <sup>١</sup>

فإن قلت : أقول ما قاله المعتزلة ، من أن قبول التوبة واجب على الله ؟  
 فأقول : لا أحسب بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله ، إلا ما يريد  
 القائل بقوله إن التوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ . وإن العطشان  
 يشرب ماء ، وجب زوال العطش . وإنه إذا مع الماء ملة وجب العطش . وإنه  
 إذا مع العطش وجب التوب . وليس في شيء من ذلك ما يريد المعتزلة  
 بالإحاطة على أنه متى من أعور حتى يشفى من العطش ، والقصور متسعة خلاصه هو  
 سبب به لمشيئة . فلا واجب على الله تعالى ، ولكن ما سبق به برادته الأثرية  
 فواجب كونه لا محالة . فإن قلت : فما من قالب إلا وهو شاك في قبول توبته  
 والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه ، فلم يشك فيه .

فان شكه في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة هي تنويه  
أركاناً وشروفاً دقيقة كما سيأتي ، وليس يتحقق وجود جميع شروطها ، كالذي  
يشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل سهل ، وذلك لشكه في حصول  
شروط الإسهال في الدواء ، باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء  
وطبيعته ، وجودة عقاقيره وأدوية . فهذا وأمثاله موجب للحوف بعد التوبة ،  
وموجب للشك في قبولها لا محالة ، على ما سبق في شروطها إن شاء الله  
تعالى .



## الركن الثاني

فيما عنه التوبة وهي الذنوب  
صغائرها وكبائرها

- بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد .
- بيان ما يتعلق بالعباد ، وما يتعلق بخلق الله تعالى .
- بيان كيفية توزع الدرجات والدرجات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الذنوب
- بيان ما تعظم به الصفات من الذنوب .



المجلد الأول  
بيان أقسام الذنوب  
بالإضافة إلى صفات العبد

تمهيد وتهيئة

اعلم أن التوبة ترك الذنب . ولا يكن ترك الشيء إلا بعد معرفته .

وإذا كانت التوبة واجبة ، كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجباً .  
فمعرفة الذنوب إذاً واجبة .

والذنوب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى ، في تركه أو فعله .

وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكديت من أوما إلى آخرها ،  
وليس ذلك من غرضنا .

ولكننا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها .

والله الموفق للصواب برحته

اعلم أن للإنسان أوصافاً وأخلاقاً كثيرة . على ما عرف شرحه في كتاب  
محاسن القلب وغوائله ولكن تنحصر مشيت الذنوب في أربع صفات :

ومثلاً في النفس ولا يصح هنا الميل لثبوتنا تأخره لم يخلق عند تأخره موافق  
لنفسه، بل في الخلق أو في مآله ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخرى  
ترجع إلى حركة وزرعه وعلم والميل الطبيعي أي بما يستوعب الإرادة  
الجارية، والقدرة والإرادة مبدأ سرور الحركة، وهكذا ترتيب في كل  
فعل. ولكن من اختراع الله تعالى. ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض.  
عندئذ يجب تقدم البعض وتأخر البعض، كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم.

العبارة بقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(١١)</sup> وعن القضاء الكللى الأربى العبارة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾<sup>(١٢)</sup> وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر. ومن حلة القدر خلق حركة في يد الكاتب، بقدر خلق صفة شخصية في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جائز في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمنفعة.

(١٧) القاموس ٤٩

7A

[illegible]

ومن حرك سبيله لأبى - و - ع - ف - ك - ح - و - ع -  
 ارتد صاحب السند عن الأمام - ع - ف - ك - ح - و - ع -  
 لا حول إلا الله ، ولا ضد له

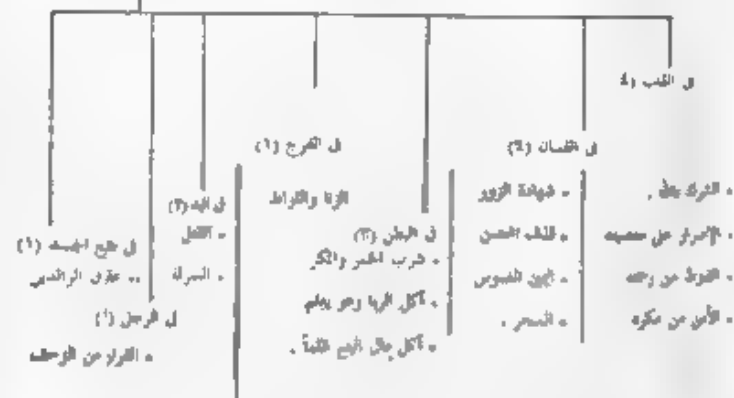
وَعَلِمَ أَن جَمْعَهُ مِنَ الْمَعْبُودِينَ لَمْ يَأْتِ بِإِلَهِةٍ يُشْرِكُ بِهِ إِذَا يَدْعَىٰ ۖ إِنَّ إِلَٰهَهُ لَأَبَدُوكَ ۖ

٧ الأضواء



بيان ما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله

میں نے



التزويد

[illegible]

الْيَمِينُ <sup>(٦٠)</sup> وَقَالَ <sup>(٦١)</sup> الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ  
يَكْفُرُونَ مَا بَيْنَهُنَّ إِنْ اخْتَبِتِ الْكِبَائِرُ <sup>(٦٢)</sup> وَفِي لَفْظٍ آخَرَ كَفَارَاتٍ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا  
الْكِبَائِرُ <sup>(٦٣)</sup> وَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا رَوَاهُ <sup>(٦٤)</sup> عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَالْكِبَائِرُ  
الْأَشْرَافُ بِاللَّهِ وَغُفُورُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ <sup>(٦٥)</sup>.

## تحديد الكبائر من الصغائر

واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر، من أربع إلى سبع، إلى تسع،  
إلى إحدى عشرة مما عوق دلت. فدل ابن مسعود، من أربع. وقد بنى  
عمر: هي سبع. وقد عبد الله بن عمرو. من تسع. وكان ابن عباس إذا بلغه  
قول ابن عمر: الكبائر سبع يقول: هي إلى سبعين أقرب منها إلى سبع. ودل  
مرة. كل ما سبى الله عنه فهو كبيرة ودل غيره: كل ما أوعده الله عليه بالدر  
فهو من الكبائر. وقال بعض السلف: كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو  
كبيرة. وقيل إنها مبيعة لا يعرف عددها، كنية القدر، وساعة يوم الجمعة.  
وقد بنى مسعود لما مثل بها. اقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية  
مها عذوقه <sup>(٦٦)</sup> إِنْ تَحْسَبُوا كِبَائِرَ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ <sup>(٦٧)</sup> وَكُنْ مَا سَبَى اللَّهُ عَنْهُ فِي  
هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى هَذَا فَهُوَ كَبِيرَةٌ وَقَدْ أَوْصَتْ لِكِبَائِرِ سَبْعِ عَشْرَةٍ،  
جَمَعَتْهَا مِنْ جَمَلَةِ الْأَحْيَارِ <sup>(٦٨)</sup> وَحَمَلَتْهَا مَا اجْتَمَعَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ  
مَسْعُودٍ، وَابْنِ عُمَرَ وَعِزُّهُمْ، أَرْبَعَةٌ فِي الْقَسْبِ، وَهِيَ الشُّرْكُ

(٦٠) التحد ٣ والحمد لله رب العالمين

(٦١) حديث الصلوات الخمس جمعة من الجمعة كغير ما يبين أن حبس الكبائر سبع من حديث

أبي هريرة

(٦٢) حديث عبد الله بن عمرو الكبائر الاشراف بالله وهو الغموس واليمين واليمين

اليمين

(٦٣) النساء ٣١

(٦٤) الأحبار الواردة في الكبائر حكى المصنف عن أبي حنيفة أن كل الكبائر سبع عشرة جمعتها من  
جمل الأعيان وحملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم الشكر بالله، والإصرار =

بالله، والإصرار على معصيته، والقبول من رحمة، والأمن من مكروه. وأربع  
في اللسان، وهي شهادة الزور، وقذف العصب واليمين الغموس، وهي التي  
يحن بها باطلاً أو يطل بها حقاً، وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم  
باطلاً ولو سواها من أركان وصحيت غموس لأنها تغمس صاحبها في الدار،  
والسحر، وهو كل كلام يغير الإنسان، سائر الأجسام عن موضوعات  
الحقيقة.

على معصيته، والقبول من رحمة، والأمن من مكروه، وشهادة الزور. وقذف العصب واليمين الغموس  
والسحر، وشرب الخمر، وللسكر، وأكل مال اليتيم ضيقاً وأكل الربا، وزنا والواط، والقذف،  
والسرقا والقمار من الرشد، وعقوق الوالدين، انتهى وذكر ما ورد منها مرفوعاً وقد تقدم أربعة منها  
في حديث عبد الله بن عمرو، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتنبوا سبع الموبقات قالوا  
يا رسول الله، وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل  
مال اليتيم، واشتوى يوم القربى، وقذف المحصنات الزنا، ولها من حديث أبي بكره ألا أتيتكم  
بأكبر الكبائر الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، لو قال قول الزور لها من حديث أنس  
سهل عن الكبائر قال الشكر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقال ألا أتيتكم بأكبر الكبائر: قال  
قول الزور، لو قال شهادة الزور، ولها من حديث ابن مسعود سألت رسول الله ﷺ أي قلب  
أعظم؟ قال أن نفساً تدعو إلى ما هو حرام، قلت لم أي؟ قال قد نفلت ذلك عنه أن يعلم محدثت في  
أي؟ قال أن ترى حيلة جارك ولطيفاً من حديث سلمة بن قيس إذا هي أربع لا تشركوا بالله شيئاً،  
ولا تقتلوا نفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا. وفي الصحيحين من حديث عباد بن  
صامت يابسون عن أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا الأوسط للطبراني من حديث ابن  
عباس الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر وهي مرفوعة عن عبد الله بن عمرو أعظم الكبائر شرب الخمر  
وكلامها ضعيف ولينزل من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلاً قال يا رسول الله ما الكبائر قال:  
الشرك بالله، والإيمان من روح الله، والقبول من رحمة الله، وله من حديث أربعة أكبر الكبائر الإشراف  
بالله، وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء، ومنع الفضل، وفيه صالح بن حبان خطبه ابن مسعود، انتهى  
وفي خالد بن عوف السمين ضعيف للطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حنيفة في الكبائر  
والعرب بعد الهجرة وفيه ابن وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه الرجوع  
إلى الأحرار بعد الهجرة وفيه أبو بلال الأحمري خطبه القدراني ولما كان من حديث حبيب ابن عمرو هي  
أيه الكبائر سبع فذكر منها واستحل البيت الحرام والطبراني من حديث وثقة إن من أكبر الكبائر أن  
يقول الرجل عني ما لم أقل وفيه أيضاً من حديثه إن من أكبر الكبائر أن يقتل الرجل من ولده ولمسلم من  
حديث جابر بن رجل بين الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث جابر بن رجل بين وبين  
الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والده ولأن  
فلود من حديث سعيد بن زيد من أبى الرية الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وفي الصحيحين من

ثلاث في البطن، وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب، وأكل مال  
 بيتي ظمأ، وأكل الربا وهو يسمون شتد في العرج، وهو نرد وسواه.  
 وانتكاد في الدين، وهما القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين، وهو الفرار  
 من الحرب، لواحد من اثنين، والعشرة من احشرين ووحدة في جميع  
 الجسد، وهي حقوق الوالدين، قال وجهه عقوبتهما أن يقسما عليه في حق فلا  
 يبر قسمهما. وإن سألناه حاجة فلا يعطيهما، وإن يسبه فيضربهما، ويجوعان  
 فلا يصعبهما.

هذا ما قاله وهو قريب، ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء، إذ يمكن الزيادة  
 عليه والنقصان منه، فإنه جعل أكل الربا ومال أبيه من الكبائر، وهي جناية  
 على الأموال ولم يذكر في كبائر العموس إلا القتل. فأما فقه العين، وقطع  
 ليدن، وغير ذلك من تعذيب السممين بالضراب وأنواع العذاب، مما  
 يتعرض له وضرب أبيه وتعديه، ومضغ ضراعه لا شئ في أنه أكبر من أكل

حيث ابن عباس أنه عليه السلام مر على قبرين فقال لهما يمدان وما بطلان في كبير وإله لكبر لما أحدهما  
 فكان يمشي بالجمجمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث: ولأحد في هذه قطعة من حديث  
 أبي بكر لما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث: ولأبي داود والترمذي من حديث أبي هريرة  
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من شرب الخمر أو أكل الربا لم يمت حتى يذوق الموت  
 واستمره فيطرى والترمذي وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس لا صورة مع أصابعه  
 وفيه أبو شيبة الخراساني والحديث منكر معروف به (وأما الموقوفات) فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن  
 ابن مسعود قال الكبائر الأشراك بالله والأمن من مكر الله والضيوط من رحمة الله واليأس من روح الله  
 وروى البيهقي في عن ابن عباس قال الكبائر الأسراك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله  
 وخوف الله وقول الناس حتى يجرم الله ولقد المصنعت وأكل مال بيتي والفرار من الحرب وأكل  
 الربا والسحر والربا واليمين العموس الفاجرة والعقول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وشرب  
 الخمر وترك الصلاة متصلاً وأثناء ما قرطه الله وتلقى العهد وقطيعة الرسم وروى ابن أبي شيبة في  
 التوبة عن ابن عباس كل ذنب أسير عليه العبد كبير وفيه أربع من صحيح خلفه في وروى أبو منصور  
 الطبراني في مسند الفريسي عن أبيه قوله لا صورة مع الأصابع واستاده جيد قد اجتمع عن الموقوفات  
 والموقوفات ثلاثة وثلاثون أو ثمان وثلاثون إلا أن بعض لا يصح استاده كما تقدم وإياها ذكرت الموقوفات  
 حتى يعلم ما ورد في الموقوف وما ورد في الموقوف واليه في الشعب عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر  
 سبع فقال هي إلى سبع أقرب وروى البيهقي أيضاً في عن ابن عباس قال كل ما سئى الله منه كبير والله  
 أعلم

ماله. كيف وفي الخبر: من الكبائر <sup>(٦٦)</sup> السكوت بالنسبة ومن الكبائر استبطالة  
 الرضيع في عرض أبيه المسلم، ومذاكرته عن فدى الصبي <sup>(٦٧)</sup> أبو  
 سعيد الخدري وغيره من الصحابة. إنكم لتسمون أعمالاً هي أدق في أعينكم  
 من الشعر كنا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر.

وقالت طائفة كل عتيد كبيرة، وكل ما سئى الله عنه فهو كبيرة: وكشف  
 الغطاء عن هذا. أن نظر النظر في الدقة هي كبيرة أم لا، لا يصح، ما لم  
 يفهم معنى الكبيرة والمراد بها. كقول القائل: سرقة حرام أم لا، لا مطمع في  
 تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أولاً ثم بحث عن وجوده في السرقة.  
 فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم، ليس له توسع خاص في اللغة ولا في  
 الشرع. وذلك لأن الكبير والصغير من المعصيات، وما من ذنب إلا وهو كبير  
 بالإضافة إلى ما دونه، وصغير بالإضافة إلى ما عوفه. فالمضاجعة مع الأجنبية  
 كبيرة بالإضافة إلى الصرة، صغيرة بالإضافة إلى الرنا، وقطع يد المسلم كبيرة  
 بالإضافة إلى صيرته صغيرة بالإضافة إلى قته. نعم للإنسان أن يطلق على  
 ما توقعه بالار على فعله خاصة اسم الكبيرة. ويصعب بوصفه بالكبيرة أن العقوبة  
 بالنار عظيمة، وله أن يطلق على ما لوجب الله عليه مصراً إلى أن ما جعل  
 عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيمة، وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب  
 السبي عنه، فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمة، ثم يكون  
 عظيماً وكبيرة لا محالة بالإضافة. إذ متصريحات القرآن أيضاً تتفاوت  
 درجاتها.

(٦٦) حديث من الكبائر السكوت بالنسبة ومن الكبائر استبطالة الرضيع في عرض أبيه المسلم: هذا أبو  
 منصور الطبراني في مسند الفريسي لأحد وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه  
 من أبي هريرة استطالة في عرض أسد بن زريق كما تقدم

(٦٧) حديث أبي سعيد الخدري: غيره من الصحابة أنكبوا أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر  
 كمنعه عن عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر أحد وأبو هريرة يستد صحيح وقال في الموقوفات. يدل  
 الكبائر ورواه البخاري من حديثه نفس واحد وقيل لا من حديث عباد بن قيس وقال صحيح الاسناد.

ففيه الإطلاقات لا حرج فيها . وما بقا من العطف الصلوة يتردد به هذه الحديث ، ولا يعد تبرئته على هيئ من هذه الاحتمالات . نعم من المحدث أن يعلم معنى قول الله تعالى ﴿ إِنْ تَحِبُّوا كِبَارًا مَا تُهْزِنُ عَنْهُ ثُكُورُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (٢٨) وقول رسول الله ﷺ ، الصَّلَاةُ كَفَّارَاتُ كَفَّارَاتٍ لِمَا يَبْهِنُ إِلَّا الْكِبَارُ ، فإن هذا إثبات حكم الكبار .

## تحديد الغزالي في الفرق بين الصغيرة والكبيرة

والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه وإيها . وإلى ما يعلم أنها مملوذة في الصغائر ، وإلى ما يشت فيه فلا يلزم حكمه : فالعلم في معرفة حد حاصر ، أو عدد جامع مانع ، طلب لما لا يمكن فإن دلت لا يمكن إلا باسماع من رسول الله ﷺ ، فإن يقول من أردت بالكبار عشراً ، أو خمساً ، وبصلها ، فإن لم يرد هذا ، بل ورد في بعض الألفاظ (٢٩) ثلاث من الكبار ، وفي بعضها (٣٠) سبع من الكبار . ثم ورد أن السبعين بالنسبة الواحدة من الكبار ، وهو يخرج عن السبع والثلاث ، علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر . فكيف يعلم أن عدد ما لم يحد الشرع ؟ وربما قصد الشرع إقامته ليكون العباد مه على وجل ، كما أبهم القدر يعظم حد الناس في طلبها . نعم لا سبيل كل يك أن يعرف به أحاسن الكبار وأنواعها

(٢٨) الساء . ٣١

(٢٩) حديث ثلاث من الكبار . النجعات من حديث أبي بكره ألا أتيتكم بأكثر الكبار ثلاثاً .

أخذت . وقد تقدم

(٣٠) حديث سبع من الكبار : فيه في الأوبى من حديث أبي سعيد الكبار سبع وقد تقدم والى الكبر من حديث عبد الله بن عمر من صل الصلوات الخمس وجبت الكبار — أعتدت — ثم علمي سبعا وتقدم عن الصحيحين حديث : أنه مرة اجتنبوا السبع الموفيات .

بالتحقيق . وأما أعياها فتعرفها بالظن والتقريب . عرف أيضاً أكبر الكبار . فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته .

وبإياه أيضاً أنا يعلم بشواهد الشرع وأنور بصائر جميعاً ، أن مقصود الشرائع كلها سياق الحق إلى جوار الله تعالى ، ساعدة لقاته . وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعونة الله تعالى ومعرفة صفاته ، بحبه ورسله ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْحَرَّ وَالْأَلْسَنَ إِلَّا بِعُذُونٍ ﴾ (٣١) أي لكونه عيذاً . ولا يكون العبد عيذاً ما لم يعرف به مربية ، ونفسه العودية . ولا بد أن يعرف نفسه وربه . فهذا هو المقصود لأقصى بيعة الأبي . ولكن لا يتم هذا إلا في حياة الدنيا ، وهو المسمى بقوله عبد السلام (٣٢) ، الدنيا مزرعة الآخرة . فحفظ الدنيا أيضاً مقصوداً لله . فلهذا سبيله إليه . ونحن من الدنيا الآخرة شتان . النفوس والأموال . فكل ما يسد باب معرفته الله تعالى فهو أكبر الكبار . وبه ما يسد باب حياة النفس . وبه ما يسد باب تمعش التي بها حياة النفوس ، فهذه ثلاث مراتب

محفظة للمعرفة على القلوب ، والحياة على الأبدان ، والأموال على الأشخاص ، ضروري في مقصود الشرائع كلها . هذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختلف فيها الملل . فلا يجوز أن الله تعالى يبعث نبياً يريد بيعته بصلاح خير في دينهم وديارهم ، ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله ، أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال . فحصل من هذا أن الكبار على ثلاث مراتب .

(٣١) الفاربيات . ٥٦

(٣٢) حديث الدنيا مزرعة الآخرة : لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً . يرى العقيل في الضعفاء وأبو بكر من لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشج تمت النار الدنيا لم يزود منها لآخره حديث : واستاده صنف .

## المرتبة الأولى من الكبائر (الكفر)

الأولى: ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله، وهو الكفر فلا كبيرة عوف الكفر. إذا أحببت بين الله وحده العبد هو الجهل. والوسيلة للقرية له إليه وهو الظلم والمعرفة وفهمه بقدر معرفته، ويعد بقدر جهله. ويتلو الجهل الذي يسمى كفرة. الأمن من مكر الله، والقسوة من رحمته. فإن هذا أيضاً عين الجهل. فمن عرف الله لم يتصور أن يكون آمناً، ولا أن يكون آيماً. ويتلو هذه الآية الدعاء فيها، الخسفة بدات الله، وصماته، وأعماله. وبعضها أشد من بعض. يدونها عن حسب بدات الجهل بها، وعلى حسب تعلقيها بدات الله سبحانه، وبأعماله، وشراعه، وبأوامره، ونواهي ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يعلم أنه لا يدخل، وإلى ما يشك فيه، وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع.

## المرتبة الثانية من الكبائر (القتل) ما يتعلق بالنفوس

المرتبة الثانية: النفوس. إذ يبقائها وحفظها تدوم الحياة، وحصل المعرفة بالله. قتل النفس لا محالة من الكبائر، وإن كان دون الكفر. لأن ذلك يصدم عين المقصود، وهذا يصدم وسيلة المقصود. إذ حياة الدنيا لا تتراد إلا للأخرة، والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى.

### قطع الأطراف

وهو هذه الكبيرة قطع الأطراف. وكل ما ينقص إلى هلاك، حتى الضرب. وبعضها أكبر من بعض.

## الزنا واللواط

ويقع في هذه المرتبة تحريم الزنا واللواط، لأن اجتماع الناس على الاكتفاء بالذكر في قضاء الشهوات اقتطع السل، وتمع الموجود قريب من قطع الوجود. وأما الزنا فإنه لا يموت فصل الوجود، ولكن يشوش الأنساب. ويظهر اسوارث والتناصر وجهة من الأمور التي لا ينظم العيش إلا بها. بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا، ولا ينظم أمر لبائهم ما لم يتمز المحل منها بإثبات ينص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يصور أن يكون الزنا مباحاً في أصل شرع قصد به الإصلاح. وينبغي أن يكون الزنا في المرتبة دون القتل، لأنه ليس يموت نواته بوجود، ولا يجمع أصله. وبكيفية يموت بغير الأسباب ويحدث من الأسباب ما يكاد يعضى إلى شقائه. ويسمى أن يكون أشد من اللواط، لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين، فثبت وقوعه، ويعظم أثر الضرر بكثرة.

## المرتبة الثالثة من الكبائر (ما يتعلق بالأموات)

المرتبة الثالثة: الأموال. فإنها معاش الخلق. فلا يجوز تسبب الدس على تناولها كيف شاعوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرها. بل ينبغي أن تحفظ نسق يبقائها سبوس إلا أن الأموال إذ أحدثت حتى استردادها، وإن أكلت أمكن تفرعها. فليس يعظم الأمر فيها نعم: إذا جرى تناولها بطريق مصر التدارك له، فغنيبي أن يكون ذلك من الكبائر وذلك بأربع طرق:

### السيرة:

أحدها: الخفية، وهي السرقة. فإنه إذا لم يطلع عليه غالباً كيف يتدارك؟

## أكل مال اليتيم :

الثاني . أكل مال اليتيم وهذا نوع من خفية وأعمى له في حق نول واليتيم ، فإنه مؤتمن فيه ، وليس له حصص سوى اليتيم ، وهو صغير لا يعرفه . فتعصم الأمر فيه واحب ، بخلاف العصب فيه ظاهر يعرف ، وبخلاف الحياة في الوديعة ، فإن المودع عصم فيه يتصرف لنفسه

## شهادة الزور :

الثالث : تمويجها بشهادة الزور .

## اليمين الغموس :

الرابع : أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس<sup>٢٢</sup> . فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك . ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلاً ، وبعضها أشد من بعض ، وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس

وهذه الأربعة جديدة بأن تكون مرادة بالكبائر ، وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر القواعد عليها ، وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها

## أكل الربا :

وأما أكل الربا . فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضى ، مع الإخلال بشرط وضعه الشرع . ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله . وإذا لم يحسم العصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه ، وبغير رضا الشرع من الكبائر ، فأكل الربا أكل برصا مثلك ، ولكن دون رص الشرع . وإن عظم الشرع الربا بالحرع عنه فقد عصم أيضاً الصلح بالعصب وغيره وعظم الحياة والنصير إلى أن أكل دس بالحياة أو العصب من الكبائر فيه نظر . وذلك واقع في مظنة الشك . وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر ، بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما

(٢٢) الغموس : الكاذبة التي تنفس صاحبها في الإثم ثم في الشر

لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضرورياً في دين

فيبقى مما ذكره أبو طالب المكي في القذف ، والشرب ، والسر ، والغرار من الزحف ، وعقوق الوالدين .

## شرب الخمر :

أما الشرب لما يربى العقل ، فهو جدير بأن يكون من الكبائر . وقد ذهب عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضاً لأن من يحتصوه ، كما في العس محظوظة بل لا يخرج من النفس دون العقل . فربما من الكبائر ولكن هذا لا يخرج في قطرة من الخمر ، فلا شك في أنه لو شرب ماء فيه قطرة من خمر لم يكن ذلك كبيرة . وإنما هو شرب ماء خمر . وبقطرة واحدة في عس الشك . وإيجاب الشرع الحد به حتى تعظم . فبعد ذلك من الكبائر بالشرع . وليس في قوة البشرية وقوف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع ، وإلا فالتوقف فيه مجال .

## القذف :

وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض . والأعراض دون الأموال في الرية . وتناولها مراتب . وأعظمها تناول بدمس ، بالإضافة إلى فاحشة الربا ، وقد عظم الشرع أمره . ونفس صاعداً في نصيحة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة ، فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس ، وهو الذي نريد به الكبيرة الآن . ولكن من حيث أنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع ، ونفاس بمجرد لا يدل على كبره وعظمته . بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العمل الواحد إذا رأى إنساناً يزني ، قلله أن يشهد ، ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته . فإن لم تقبل شهادته فحده ليس ضرورياً في مصالح الدنيا ، وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة حداثته . فبعد هذا أيضاً يجوز بسكتة في حق من عرف حكم الشرع . فثما من ظن أن له أن يشهد وحده ، أو ض أنه يساعده على شهادة غيره ، فلا ينبغي أن يعمل في حقه من الكبائر

## السحر :

وقد السحر ، وإن كان فيه كفر فكثيره ، لا معصيته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس ، أو مرض ، أو غيره .

## الفرار من الزحف وعقوق الوالدين :

وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضاً يجرى أن يكون من حيث النفس في محل التوقف . وبه يصح أن سب الناس بكل شيء سوى الزنا ، وضربه ، وخطفه ، ونقص أمواله ، وإخراجهم من مساكنهم ، وبلادهم وإحلالهم من أوطانهم . ليس من الكبائر إذ لم يمتد ذلك في البيع عشرة كبيرة ، وهو أكبر ما قيل فيه . فسوق في حد أيضاً غير بعيد ، ولكن حديث يدل على تسميته كبيرة فيلحق بالكثير .

مرد رجع حصل الأمر أن معنى تكفيره لا تكفيره اصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما اتفق على ما علم أنه لا تكفيره قطعاً ، وإلى ما يجرى أن تكفيره ، وإلى ما يتوقف فيه والمنزلة فيه بعضه مطلقون للنهي والإثبات ، وبعضه مشكوك فيه ، وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة . وإذا لا مطمع فيه ، فطلب رفع الشك فيه حال .

إن قلت : فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها . فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده .

فاعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإيهام ، لأن ذلك التكليف في دار الدنيا . والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث إنها كبيرة . بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها ، كالسرقة والزنا وغيرهما . وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها . وهذا أمر يتعلق بالآخرة ، والإيهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر ، فلا يتجرعون على الصلوات اعتقاداً على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصلوات بموجب قوله تعالى ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ تُكْفِّرْ عَنْكُمْ

صغائركم ﴾ . ولكن اجتناب الكبيرة إذ يكفر بصغيرة يد اجتناب مع القسوة والإرادة . فمن يتكلم من امرأة ، ومن يؤاخذها فكيف نفسه من الوقاع ، فيقتصر على نظر أو لمس فإن بحمد الله تكفره بالكفر . أشد تأثيراً في توبير قلبه من إقدامه على النظر في إطلاعه . فيه معنى تكفيره . فإن كان عباً ، يؤمر بغير امتناعه إلا بالضرورة للمعسر أو كان قادراً ولكن امتنع لحوق أمر آخر ، فهذا لا يصنع بشكركه أصلاً وكل من لا يشتهي حمر بطيخة ، ولو أبيع له لما شربه ، فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته ، كسماع الملاهي والأوتار . نعم : من شتهي الحمر وسماع الأوتار ، فيمسك نفسه بأعذوبة عن حمره ويطلقها لسماع ، فمعهذه النفس بالكفر . رد فمحور عن قبه الضمة التي ارتفعت به من معصية السماع .

فكل هذه أحكام أخروية ، ويجوز أن يبقى حجب في محل الشك ، وتكون من مشبهات ، فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص . . . يرد نص بعد ، ولا حد . جمع ، بل ورد بأعطاء محتمات . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « الصلاة إلى الصلاة كخزاة رمصان إلى رمصان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وتلك السنة ونكت الصلوة » قيل ما ترك السنة ؟ قيل الخروج من الجماعة ، ونكت الصلوة أن يبيع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف يقتله . فهذا وأمثاه من الأعداء لا يغير بالعدد كنه ولا يدل على حد جامع ، فيبقى لا محالة مبهماً .

فإن قلت الشهادة لا تصل إلا لمن يجنب الكبائر ، والورع عن الصغائر ليس شرطاً في قبول الشهادة ، وهذا من أحكام الدنيا ، فاعلم أنا لا نخص رد الشهادة بالكبائر . فلا خلاف في أن من يسمع الملاهي ، ويلبس الديباج ، ويتحتم بخاتم الذهب ، ويشرب في ألوان الذهب والمصبة ، لا تقبل شهادته ، ولم

(٧٤) فاء ٣١

(٧٥) حديث الصلاة في الصلاة كخزاة رمصان إلى رمصان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وبرك السنة ونكت الصلوة . الحديث . بخاتم من حديث أبي هريرة نحوه . وقال صحيح الاسناد

يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من كثر دون لشعبي رضى الله عنه : يد  
شرب الخمر البهجة حدته ، ولم أورد شهادته . فقد جمعه كبره بمرحوب أحد ،  
ولم يرد به الشهادة . فدل على أن الشهادة نقياً وبشراً لا تور على صغائر  
والكبار . بل كل الذنوب تندح في العدالة ، إلا ما لا يخفى الإنسان عنه غالباً  
بضرورة مجارى العادات ، كالعبية ، والتجسس ، وسوء الفتن ، والكذب في  
بعض الأقوال ، وسماع البقية ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأكل  
الشبهات ، وسب الولد والعلام ، وضربها بحكم المصعب زانياً على المصلحة ،  
وإكرام السلاطين الظلمة ، ومصادقة الفجار ، والتكامل عن تعليم الأهل  
والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين . فهذه ذنوب لا يتصور أن يمتنع  
الشاهد عن قلبها أو كثورها إلا بأن يتزل الناس ، ويحذر لأمر الآخرة ،  
ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على صيته مع المبالغة بعد ذلك . ولو لم يبق إلا  
قول مثله لعم وجوده ، وبعثت الأحكام . والنهارات . وليس ليس الحرير ،  
وسماع الملاهي ، والعبع بالتردد ، وبجائسة أهل الشرب في وقت الشرب ،  
والخسرة بالأجنبيات ، وأمثال هذه الصغائر من هذا القليل . قال في مثل هذا  
المنهاج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردّها ، لا إلى الكثرة والصغرة .  
ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واطب عليها لأثر في رد  
الشهادة . كمن اتخذ البقية وثلب الناس عادة . وكذلك مجالسة الفجار  
ومصادقتهم . والصغيرة تكبر بالمواظبة ، كما أن المباح يصغر بالصغيرة بالمواظبة  
كاللعب بالشطرنج ، والترجم بالساء على القوام وغيره . فهذا بيان حكم الصغائر  
والكبار .



### المحل الثالث

## بيان كيفية توزيع الدرجات والمدرجات في الآخرة على الحسنات والنسيئات في الدنيا

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة . والآخرة من عالم العيب  
والملكوت . وأغنى بالدنيا حالتك قبل الموت ، والآخرة حالتك بعد الموت .  
فدنياك وأمرتك صفاتك وأحوالك يسمى القرب الدال منها دنيا ، والمتأخر  
آخرة . ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة بما الآن نتكلم في الدنيا وهو  
عالم الملك ، وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم سكوت

ولا يتصور شرح عالم سكوت في عالم الملك . لا يصحب الأمان . ولدت  
قد نصي **﴿ وَتِلْكَ الْأَنْفَالُ تُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَوْ يُغْلَبُ إِلَّا الْقَالُونَ ﴾** <sup>٧٦</sup>  
وهذا لأن عالم الملك يوم بالإضافة إلى عالم الملكوت . وبذلك قد <sup>٧٧</sup>  
الناس يوم فإذا ماتوا تسهوا ، وما سيكون في ليلقة لا يتبين لك في اليوم ،  
إلا لأمتن ، مصحوة إلى التعبير ، فكذلك ما سيكون في ليلة الآخرة لا يتبين في  
يوم الدنيا إلا في كثرة الأمتال . وأغنى بكثرة الأمتال ما يعرفه من علم لغيره .

وبكيفية منه إن كنت مصلحاً ثلاثاً أمثله . ضد جاء رجل إلى ابن مسعود  
فقال رأيت كذا في يدي حاتمياً أنخم به أهواء لرجل وعروج النساء فقال  
بك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر . قل صدقت . وجاء رجل آخر  
فقال : رأيت كأنني أصيب الزيت في الزيتون فقال إن كان تحت حذرتي  
أشربت مفض من حالها ، فإنها أمك سببت في صغرك ، لأن الزيتون أصل

(٧٦) التنبؤات - ٤٣ .

(٧٧) حديث الناس يوم فإذا ماتوا تسهوا : لم أجدته مرفوعة وإنما جرى إلى عن ابن أبي طالب .



الزيت . فهو يرد إلى الأصل . فنظر هنا جاريته كانت أمه ، وقد سببت في صبره . وقال له آخر : رأيت كأي أفلد الدبر في أعناق الخنازير . فقال إنك يمين الحكمة غير أهلها ، فكأن كما قال .

واستعمل من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال . وإنما نسي بالمثل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجد صادقاً . وإن نظر إلى صورته وحده كادماً . فنؤيد إن نظر إلى صورة الخاتم . والختم به حل الفروج رآه كادماً . فإنه لم يعم به مص . وإن نظر إلى معناه وجد صادقاً ، إذ صبر منه روح الختم ، ومعناه ، وهو الختم الذي يراد الختم له . وليس للأبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال ، لأنهم كانوا أن يتكلموا الناس على قدر عقولهم ، وقدر عقولهم أسهم في النوم ، والناس لا يكشف له عن شيء إلا بمثل ، فإذا ما تروا نسبوهم وعزموا أن المثل صادق . وذلك قال ﷺ (٧٨) : قُلِّبَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْبَاحِ الرَّخْمَنِ ، وَهُوَ مِنَ الْمَثَلِ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ إِلَّا الْعَالَمُونَ . فأب الجاهل فلا يجاور قدره ظاهر المثال ، لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلاً ، كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تسييراً ، فثبت لله تعالى هذا وأصبحاً ، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .

وكذلك في قوله ﷺ (٧٩) : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَنْ صُورَتِهِ ، فإنه لا يعمهم من الصورة إلا اللون والشكل وعينه ، فثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .

ومن هنا زل من زل في صفات الإلهية ، حتى في الكلام ، وجعلوه صوتاً وحرفاً إلى غير ذلك من الصفات ، والقول فيه يطول .

وكذلك قد يرد في أير الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملعن ، بمحمود نظره حل ظاهر المثال وتناقضه عنه كقوله ﷺ (٨٠) : يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي

(٧٨) حديث قلب المؤمن بين أصابع الرحمن : تقدم

(٧٩) حديث أن الله خلق آدم على صورته : تقدم

(٨٠) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كيش أبلج فيذهب . منطلق عليه من حديث أبي سعيد .

صُورَةَ كَيْشٍ أَمْلَجَ فَيَذْبَحُ ، فيثورة الملعن الا هو يكذب ، ويستدل به حل كذب الأبياء ويقول : يا مسبحان الله - الموت عرض ، والكيش جسم ، فكيف ينقلب العرض جسماً حل هذا إلا محال ؟ ولكن الله تعالى عز وجل هؤلاء الخلق عن معرفة أسرارهم فقال (٨١) : زَمَّا يَنْفَعُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى (٨٢) ، ولا يدري المسكين أن من قال : رأيت في منامي أنه حيء بكيش ، وقبل هذا هو الوباء الذي في الهند ، وذهب ، فضل المعبر . صدقت : والأمر في رأي ، وقد يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط ، لأن المذبح وقع بين من ، فإذا المعبر صادق في تصديقه . وهو صادق في رؤيته . ونرجع حصته ذلك إلى أن موكل بالرؤيا ، وهو الذي يطلق الأرواح عند النوم على ما في النوح المصنوع ، عرته بما في النوح المصنوع مثال صبره به لأن الناس إنما يحسن مثال فكان مثاله صادقاً ، وكان معناه صحيحاً .

فالرسل أيضاً يتكلمون الناس في الدنيا ، وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم ، فيوصلون المعاني إلى أفهامهم بالأمثلة ، حكمة من الله ، ولطفاً بعباده ، وتيسيراً لإدراك ما يصحزون عن إدراكه دول ضرب أمثال . فقله يؤتى بالموت في صورة كيش أبلج ، مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت ، وقد حبلت القلوب على الأثر بالأمثلة ، وثبت تعالى فيها بواسطة . ولذلك عبر القرآن بقوله (٨٣) : كُنْ فَيَكُونُ (٨٤) عن نهاية أسرته ، وعبر ﷺ ، بقوله : قُلِّبَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْبَاحِ الرَّخْمَنِ ، عن منعة التقلب وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع الصادات ، فلنرجع الآن إلى العرض

فالمقصود أن تعريف تورع الدرجات والدركات على الحسنة والسيئة ، لا يمكن إلا بضرب المثال ، فلتعهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته ، فقول :

(٨١) العنكبوت ١٣  
(٨٢) من ٨٢

من في الآخرة ينقسمون أصنافاً وتفاوتت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والتعذيب تفاوتاً لا يدخل تحت الحصر ، كما تفاوتوا في السعادة الدنيا وشقاوتها . ولا تفارق الآخرة في هذا المعنى البتة . فإن مذهب الملك والملوك واحد لا شريك له ، ومسته الصادرة عن إرادته الأثرية مطردة لا تبدل لها ، إلا أن إب عجزنا عن إحصاء اتحاد الدرجات ، فلا نعجز عن إحصاء الأقسام .

## أقسام الناس في الآخرة

الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ، ومعذبين ، وناجين ، وفائزين . ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم ، فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ، ويخلع بعضهم فهم الناجون ، ويخلع على بعضهم فهم الفائزون . فإن كان الملك عادلاً ، لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق ، فلا يقتل إلا جاحداً لاستحقاق الملك معانداً له في أصل الدولة . ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته . ولا يخلع إلا معترفاً له بمرتبة الملك ، لكنه لم يقصر ليعذب ولم يقدم ليخلع عليه . ولا يخلع إلا على من أبلى عمره في الخدمة والنصرة . ثم ينبغي أن تكون صلح الفائزين مساوية الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة ، وإعلاء الهالكين إما تخفيفاً بحر الرقة ، أو تنكيلاً بالمشة ، بحسب درجاتهم في المعاندة ، وتعذيب المعذبين في الخدمة ، والشدة ، وطول المدة وقصرها ، واتحاد أنواعها واختلافها ، بحسب درجات تقصيرهم .

فتقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر . فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون . فمن هالك ، ومن معذب مدة ، ومن ناج يخلع في دار السلامة . ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يخلعون في جنات عدن ، أو جنات المأوى أو جنات الفردوس . والمعذبون

ينقسمون إلى من يعذب قليلاً ، وإلى من يعذب ألف سنة إلى عدة آلاف سنة ، وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الحديث (٨٢) . وكذلك الهالكون الأيسر من رحمته الله تتفاوت درجاتهم . وهذه المراتب بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي ، فلندكر كيفية توزيعها عليها رتبة الهالكين :

الرتبة الأولى : وهي رتبة الهالكين . وهي بائس من البائسين من رحمته الله تعالى ، إذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربه آيس من رضا الملك وإكرامه ، فلا تعفل عن معاني المثل . وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين ، المتجردين للدنيا ، المكذبين بالله ورسمه وكتبه . فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والظفر إلى وجهه ، وذلك لا ينال أصلاً إلا بالمعرفة التي يمر بها بالإيمان والتصديق . والجاحدون هم مكرون . والمكذبون هم الأيسر من رحمته الله تعالى أبد الآباد ، وهم الذين يكذبون برب العالمين ، وأنيابهم المرسلين ، إنهم عن ربه يومئذ لمحبوبون لا محالة ، وكل محبوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشبهه لا محالة . فهو لا هيلة يكون مختزلاً لرجهتهم بدار الفراق . ولذلك قال العارفون : ليس خوفنا من نار جهنم ، ولا رجائنا من المحور العين ، وإنما مطلبنا اللقاء ، ومهربنا من الحجاب فقط ، وقالوا : من يعبد الله بموض فهو لهيم ، كأن يعبده لطلب جنته . أو لخوف ما به بل العارف يعبده بداته . فلا يعذب إلا دانه فقط . فدا المحور العين والعبادة ، فقد لا يشتهيها . وأما النار ، فقد لا يتقها . إذ ناز الفراق إذا استولت ربما غلت النار المحرقة للأجسام . فإن ناز الفراق ناز الله الموقدة ، التي تطلع على الأقدار . ونار جهنم

(٨٢) حدث أن آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة : الفردوس يشك في يوم الأجل من ... أن مرره ... حديث قال فيه وأطروهم سكة فيه حل الدنيا من يوم غلبت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة .

لا شغل لها إلا مع الأجسام ، وألم الأجسام يستحق مع ألم الفؤاد ، ولذلك قيل :

وفي فؤاد الحب نار جوى أحمر فار الجميع أبردها

ولا ينبغي أن يتكرر هذا في عالم الآخرة ، إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا ، فقد روي من غلب عليه الوجد فعدا على النار ، وعلى أصول القصب المجارحة للقدم ، وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه . وترى الغصبان يستولى عليه الغضب في القتال ، فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بهلق الحال ، لأن الغضب يورث الغضب . قال رسول الله ﷺ : **الغضب قطعة من النار** ، واحترق الفؤاد أشد من احترق الأجساد ، والأشد بطل الإحساس بالأضعف كما تراه ، وليس فلاك من الدار والسيف ، إلا من حيث إنه يفرق بين جزأين . يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام . فالذي يفرق بين القلب وبين عيوبه لدى يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاماً من تأليف الأجسام ، فهو أشد إيلاماً إن كنت من أبواب البصائر وأرباب القلوب . ولا يبعد أن لا يترك من لا قلب له شدة هذا الألم ، ويستحقه بالإضافة إلى ألم الجسم . فالصبي لو غمر به ألم الحرمان عن الكرة والصولجان . وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان ، لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلاً ، ولم يعد ذلك لما ، وقال . العنوي المبداء مع الصولجان ، أحب إلي من ألف سرير لسلطان مع الخنوس عليه . بل من تعلبه شهوة البطل . ورحم بين شهوة وحبوة ، وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ، ويفرح به الأصدقاء ، لأثر الشهوة والخلوة .

وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوباً ، ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذياً . وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسياف ، ولم تظهر فيه صفات الملائكة التي لا يناسبها ولا يلائمها إلا القرب من رب العالمين ، ولا يؤمنها إلا البعد والاحجاب . وكما لا يكون النوى إلا في السنان .

(٨٤) حديث الغضب قطعة من النار . فخرماني من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم .

والسمع إلا في الآذان ، فلا تكون هذه الصفة لا في القلب . من لا قلب له ليس له هذا الحس ، كمن لا سمع له ولا بصر له . لفة الأذن ، وحس الصور والأنوار . وليس لكن إسد قلب . وإن كان له صح فوله تعالى ﴿ **إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ** ﴾ (٨٥) . من م يتذكر بانقراض معناه من القلب . وليست أعنى بالقلب هنا الذي تقسمه عظام الصدر ، بل أعنى به السر الذي هو من عالم الأمر . وهو اللحم الذي هو من عالم الخلق حرشه ، والصدر كرسبه ، وسائر الأعضاء عائله وملاجه والله الخلق والأمر جميعاً . وبكى ذلك السر ليدي قال الله تعالى فيه ﴿ **قُلْ لِرُوحٍ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾ (٨٦) هو الأمر والمملك : لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق نيباً ، وعالم الأمر أمر على عالم الخلق وهو اللطيفة التي إذا صلحت صلح سائر الجسد ، من عرقها فقد عرق نفسه ومن عرق نفسه فقد عرق ربه

وعند ذلك يشم العبد مبادئ ورائح المعنى المطوى تحت قوله ﷺ : **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آقَمَ عَلَى صُورَتِهِ** ، ونظر بعين الرحمة بين الحاملين له على ظاهر لفظه ، وإلى المتعسف في طريق تأويله وإن كانت رحمة للحاملين على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسف في التأويل لأن الرحمة على قدر المصيبة ، ومصيبة أولئك أكثر ، وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر . فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . وهو حكمته يختص بها من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

ولنعد إلى الغرض ، فقد أرغبنا الطول وطولنا النفس ، في أمر هو أعلى من علوم المعاملات التي تقصدها في هذا الكتاب . فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله ورسوله ﷺ لا تدخل تحت الحصر ، فلذلك لم نوردنا .

الرتبة الثانية : رتبة المذنبين . وهذه رتبة من غلب بأصل الإيمان ، ولكن قصر في الوفاء ، فإن رأس الإيمان هو التوحيد ، وهو أن لا يعبد إلا الله . ومن

اتبع هواه فقد اتعد إليه ، فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة . بل معنى قولك لا إله إلا الله ، معنى قومه تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾<sup>(٨٧)</sup> وهو أن تدرك الكلية غير الله ، ومعنى قومه تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا زُنَّا اللَّهُ ثُمَّ انْفَتَحُوا ﴾<sup>(٨٨)</sup> وما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من سحر ، وأحد من السيف ، مثل الصراط الموصوف في الآخرة ، فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير ، إذ لا يخلو عن قباح الهوى ولو في أمر قليل ، وذلك قادح في كمال التوحيد ، بقدر ميله عن الصراط المستقيم . لذلك يقتضى لا محالة نقصاناً في درجات القرب ، ومع كل قصار ناراً : نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ، ونار جهنم كما وصفها القرآن . فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذباً مرتين من وجع ، ولكن شدة ذلك العذاب وحسنه ، وتفاوته بحسب طول مدة ، إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضعفه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وقلة .

وإذ لا يخفى بشر في غالب الأمر عن واحد من الأمرين ، قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِيْرَادُهَا كَانَ عَلَىٰ ذُنُوبِكُمْ فَتْنًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنْفِئُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنُلَوِّزُ الْغَٰلِبِينَ فِيهَا جِثًا ﴾<sup>(٨٩)</sup> ولذلك قال المخالفون من السلف ، إنما خوفنا لأن نبتأ لنا على النار وردود ، وشككنا في السعة . وما روى الحسن الخضر الوردي<sup>(٩٠)</sup> فحين يخرج من النار بعد ألف عام . وأنه ينادى يا حنان يا منان . قال الحسن : يا ليتنى كنت ذلك الرجل

وأعلم أن في الأخبار ما يدل على أن أبخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة ، وأن الاختلاف في مدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة ، حتى قد يبرز بعضهم على النار كبرق خاطف ، ولا يكون له فيها لبث . وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة ، من اليوم ، والأسبوع ، والشهر ، وسائر المدد .

(٨٧) الأسماء ٩١ : فصلت ٣٠ : (٨٨) مريم ٧١ : (٨٩) مريم ٧٢ : (٩٠) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان : أحمد وأبو يعلى من رواية أبي قتادة السلمي عن أنس وأبي قتادة السلمي وأحمد بن حنبل بن مهرون

وير الاختلاف بالشدة لا بهاية لأعلاه ، وأدناه . بحيث يندفع في الحساب ، كما أن المثل قد يعذب بعض المتقصرين في العمل بالداخنة في الحساب ، ثم يعفو . وقد يضرب بالسياط ، وقد يعذب به آخر من العذاب .

ويطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة ، وهو اختلاف لأبواب إذ ليس من يعذب بمصادرة مثل فقط . كمن يعذب بأخذ المال ، وقيل الولد واستباحة الحرم ، وتعذيب الأقارب ، وعصيان ، وقطع اللسان ، واليد ، والأف ، والأذن وغيره . فهذه الاختلافات تنسب في عذاب الآخرة ، في سببها قواعد شرع . وهي حسب اختلاف قومه . وصعده . كرهه . تصدع . وقتب . كثرة نسيب وقتب .

أما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكبرها . وأما كثرة فبكثرتها . وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات . انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان ، وهو المعنى قوله تعالى ﴿ وَمَا وَدَّكَ بِظُلَامٍ لَّعِينٍ ﴾<sup>(٩١)</sup> وقوله تعالى ﴿ لِيَوْمَ تَجْرَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾<sup>(٩٢)</sup> وقوله تعالى ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾<sup>(٩٣)</sup> وقوله تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾<sup>(٩٤)</sup> إلى غير ذلك مما ورد في الكتب وسه . من كون العقاب و - ب حرار عن الأعمال . وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه . وجانب العفو والرحمة أرجح ، إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبياً عليه السلام<sup>(٩٥)</sup> « مَبْتُحٌ رَّحِمَتِي غَضَبِي » وقال تعالى ﴿ وَإِنْ لَّكَ حَسَنَةٌ يُضَاعَفُهَا وَتُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٩٦)</sup> فإذا هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات ، معبومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظناً . ومستنده ظواهر الأخبار وبوع حذس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الأخبار .

(٩١) فصل ١٦ : (٩٢) طه ١٢ : (٩٣) طه ٩٣ : (٩٤) طه ٩٤ : (٩٥) حديث سفيان بن عيينة عن أبي هريرة : مسلم من حديث أبي هريرة (٩٦) النساء : ١٠

فقول كل من أحكم أصل الإيمان، واجتنب الخبيث الكبار، وأحسن جميع  
 الفرائض، أعنى الأركان الخمسة، ولم يكن منه إلا صلاته مصرفة لم يصرف  
 عيب، فينبه أن يكون عذبه المصرفة في الحساب فقط، فإنه إذا حوسب  
 رحمت حالته على سيئاته، إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس،  
 وجمعة وصوم رمضان، كفريات كبيرة. وكذا احتساب لكثير بحكم  
 بعض القرآن مكفر للصغائر. وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع  
 الحساب. وكل من هذا حاله فقد تفتت مواريثه فينبغي أن يكون بعد ظهور  
 الرجحان في الميزان، وبعد الفراغ من الحساب، في عيشة راضية. نعم:  
 لتعاقبه بأصحاب الجن، والمقربين، وغروله في جنات عدن، أو في الفردوس  
 الأعلى، فكذلك يتبع أصناف، لإيمانه، لأن الإيمان يمدد تقبلي كبرياء  
 العوام، يصدقون بما يستمعون ويستمرون عليه، وإيمان كشمي يحصل  
 بانسراح الصدر بتور الله، حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه  
 متفتح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره، إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى  
 وصفاته وأفعاله. فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الأعلى، وهم  
 على غاية القرب من الملأ الأعلى، وهم أيضاً على أصناف: فمنهم السابقون،  
 ومنهم من دوسهم، وتعاونهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى؛ ودرجات  
 العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر، إذ الإحاطة بكنهه جلال الله غير  
 ممكنة، وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق، وإنما يفرغ فيه الغواصون بقلوب  
 قواهم، ويقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأرض، دهرق من الله تعالى  
 لآنهاية لمنازله فالسالكون سبيل الله لا نهاية لفرجاتهم.

وأما المؤمن إيماناً تقديماً من أصحاب الجن. ودرجته دون درجة  
 المقربين. وهم أيضاً على درجات. فالأعلى من درجات أصحاب الجن تقارب  
 رتبته رتبة الأعلى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر، وأدى  
 الفرائض كلها. أعنى الأركان الخمسة، التي هي النطق بكلمة الشهادة  
 باللسان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر، أو أهمل بعض أركان الإسلام. فإن تاب

توبة نصوحاً قبل قرب الأجل، التحق به. بتركيب. لأن تائب من الذنب  
 كمن لا ذنب له والثوب الموصول كاللص. عوسج أصلاً.

وإن مات قبل التوبة، فهذا أمر يخطر على الموت. إذ ربما يكون موته هل  
 الإصرار سيئاً لتزلزل إيمانه، فيختم له به. تحتاجه لاسيما إذا كان إيمانه  
 تقليدياً، فإن التقليد وإن كان جزءاً فهو في الاستعمال بأدنى شك وخيال  
 والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء. كلاهما إن ماتا على الإيمان  
 بعدان، إلا أن يعرف الله، عذاباً على حساب رتبة في الحساب. ونكون كثرة  
 العقاب من حيث المدة، بحسب كثرة ما إصرار. ومن حيث الشدة،  
 بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف. ع. بحسب اختلاف أصناف  
 السيئات. وبعد انقضاء مدة الحساب في البلد المقتلون في درجات  
 أصحاب الجن، والعارفون المستبصرون في أعلى عليين. ففي الخبر (٩٧) «ما يخرج  
 من يخرج من النار يغطي مثل الدنيا كلها مسيرة أضعاف، فلا تنص أن المراد  
 به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كذا. بل فرسخ بفرسخين، أو عشرة  
 بعشرين، فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال. بل هذا كقول القائل: أحد  
 منه جهلاً وأعطاه عشرة أمثاله، وكان الجمل مائة عشرة دانير، فأعطاه مائة  
 دينار. فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في النور، تنقل، فلا تكون مائة دينار لو  
 وصحت في كفة الميزان، والجمل في الكفة الأخرى، عشر عشرة. بل هو  
 موازنة صفات الأجسام وأرواحها، دون أشخاصها وهياكلها، فإن الجمل  
 لا يقصد لشكله، وطوله وعرضه ومساحته، بل لماله مروحة المالية،  
 وجسمه اللحم والدم، ومائة دينار عشرة أمه، بالموازنة الروحانية، لا بالموازنة  
 الجسمانية. وهذا صادق عند من يعرف روحانية من الذهب أو الفضة من  
 لو أعطاه جوهرة وربما مثقال، وقيمتها مائة دينار، وقال أعطيت عشرة أمثاله  
 كان صادقاً. ولكن لا يدرك صدقه إلا جوهرية. فإن روح الجوهرة  
 لا تترك بمجرد البصر، بل بغضنة أخرى وراء البصر. فذلك يكذب به

(٩٧) حديث إن يخرج من النار يغطي مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف: متفق عليه من حديث  
 ابن مسعود.



والتصدي لكل إليه ، إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل  
سفل . وحدث قل تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذُ الْمُخْرُجُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ  
رَبِّهِمْ ﴾ . من أنهم عند ربهم لا أنهم منكوسون . قد انقلب وجوههم إلى  
أفئدتهم وانتكست رءوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل ، وذلك حكم الله  
فيمس حرمة توبيخه ، ولم يده طريقه ، فعمود بالله من الضلال ، والبرول إلى  
سازل الجهال

فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ، ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو  
أكثر . ولا يخرج من النار إلا موحد . ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه  
لا إله إلا الله ، فإن اللسان من عالم الملك والشهادة ، فلا يسمع إلا في عالم الملك ،  
فيدفع السيف عن رقبتة ، وأيدي الغائبين عن ماله ، ومدة الرقبة والمال مدة  
الحياة . فحيث لا تبقى رقبة ولا مال ، لا يسمع القول باللسان . وإنما يسمع  
الصدق في التوحيد . وكال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله وعلامته  
أن لا يعصب عن أحد من الخلق بما يجري عليه ، إذ لا يرى الوسائط ، وإنما  
يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل . وهذا الحيد مصبوت . فمن  
الناس من له من التوحيد مثل الجبال ، ومنهم من له مثقال ، ومنهم من له مقدار  
خرقة وحرة . فمن في قلبه مثقال دينار من إيمان ، فهو أول من يخرج من النار .  
وفي الخبر يقال <sup>(١٠٢)</sup> : « أُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ »  
وآخر من يخرج من في قلبه مثقال درة من إيمان . ومن بين المثقل والبدية على  
قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقل وبين طبقة الدرّة ، والموازنة  
بالمثقل والدرّة على سبيل ضرب المثل ، كما ذكرنا في موازنة بين أعين الأموال  
وبين النقود . وأكثر ما يدخل الموحدين النار مقام العباد . فديوان العباد هو  
الدعوان الذي لا يترك . فأما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير إليها . فمن  
الأثر أن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى ، وله من الحسنات أمثال الجبال ، ثم  
سقط له لكاد من أهل الجنة ، فيقوم أصحاب المظالم ، فيكون قد سب عرض

(١٠٢) السجدة

(١٠٣) حديث أخرجه من النار في قلبه مثقال دينار من إيمان - الحديث تقدم

هذه . وأحد من هذه ، وحسرت هذه فيشتغل بحسائه حتى لا يهتد  
حسنة ، فتقول ملائكة بارئ هذا قد فسد حسنه ، ومنى صبور كبير  
فقول الله عز وجل : ﴿ تِلْكَ مِنْ سِتْرِكَ عَلَى سَبِيلٍ » . وحسوا له حسناً إلى النار  
وكا بهلك من سبب غيره بصرخ القصاص فكذلك ينحو المظلوم حسنه  
عدم ، إذ يصح فيه عوفاً عما صدق به . وفيه كفى عن ابن الجلاء ، أن بعض  
إخوته عتبه . ثم أرسى إليه بسببه . فقل : لا أعمل ليس في صحيفتي  
حسنة أفضل منها فكيف يحسبه ؟ وقال : وعيره : ذنوب إخواني من  
حسائي . يد أن أرسى بها صحيفتي .

فهذه مآزداً ذكره من اختلاف العبد في لمعاد في درجات السعادة  
وسوءه . وكل ذلك حكمه من سبب ، وهي حكم الصيب على مريض  
شبه يموت لا محالة لا يسر علاج . وعلى من آخر بأن عارضة تخفيف  
وعلاجه حين . فحدث ض ينسب في أكد لأحوال . ولكن قد تنوق إلى  
المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر العيب ، وقد يساق إلى دى  
العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه . وحدث من أمر رب الله تعالى  
الحقبة في أرواح الأحياء ، وعموض الأسباب في ربها مسبب الأسباب بقدر  
معوم . إذ ليس في قوة البشر الوقوف على دنها ، فكذلك الحجة والبرز في  
الآخرة لما أسباب خفية ، ليس في قوة البشر الاطلاع عليها . يعبر عن ذلك  
السبب الخفى المفقى إلى التحفة بالعمو ورضا ، وعما يعصى إلى الهلاك  
بالمعصب ولا يتم . ووراء ذلك سر المشقة لإتية الأريّة ، التي لا يصع الخلق  
عليها . فذلك يجب عليها أن تجوز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته  
الظاهرة ، والنفس على الطبع وإن كثرت مديته البظاهرة . من الاعتاد على  
لتعوى بالتقوى لا تعيب . وهو أغمض من أن يطبع عليه صاحبه ، فكيف  
غيره ! ولكن قد اكتشف لأسباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفى  
فيه يقتضى العفو ، ولا غصب إلا بسبب يرضى الله تعالى .  
ولولا ذلك لم يكن العفو والغصب جزاء على لأعمال والأوصاف ، ولو لم يكن  
جزاء لم يكن عدلاً ، ولو لم يكن عدلاً لم يصح قوله تعالى ﴿ وَمَا زُنْتُ بِظُلْمٍ »





البحر عنه في هذا العلم . فهو الذي أحله قوه تعالى ﴿ قَلَّا نَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١١) وقوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . والعارفين مطيعهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما الحور ، والقصور ، والفاكهة واللبن ، والعسل والخمر ، والحنى والأساور ، فإيهم لا يحرصون عليها ، ولو أعطوها لم يقموا بها . ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم ، فهي غاية السعادات ، ونهاية اللذات ولذلك قيل لراحة العبدية رحمة الله عليها : كيف رغبتك في الجنة ؟ فقالت الجارية الدار . فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار ورغبتا ، بل عن كل شيء سواه ، حتى عن أنفسهم . ومثاقم مثال العاشق المستتر بمشوقه ، المسترق همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه ، فإنه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه

في تلك ويحس من هذه الحالة بأنه في عن نفسه . ومما أنه صار مستغرقاً بغيره ، وصارت محبته هي واحداً وهو محبوه ، ولم يبق فيه متسع لمحور محبوه حتى بلغت إليه ، لا لنفسه ولا غير نفسه . وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر ، كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والأحزان على قلب الأصم والأكمه ، إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ، ويعلم قطعاً أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته ، فالدنيا حجاب على التحقيق ، وبرغمه يكشف العطاء ، فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة ، وأن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون .

بهذا القدر كاف في بيان تدرج الدرجات على الحسنة ، والله الموفق بلطفه .



## الفصل الرابع بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب : منها الإحسان والمواظبة . وذلك قيل لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استغفار . فكبرية واحدة تصرم (١١١) ولا يقيمها مثلها لو تصير ذلك ، كان الصغر - أرحم من صغيرة يواظب العبد عليها . ومثال ذلك قطرات من الماء تقع من الحجر على قوال متوثر فيه ، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة - يمتزج . ولذلك قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ الْأَعْمَالِ أَقْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّتْ » . أي شيء تستبأن بأخذها . وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل ، فالصغر المصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره ، فكذلك القليل من السيئات - دام عظم تأثيره في إظلام النفس .

إلا أن الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بعد من غير سوايق ولواحق من جملة الصغائر فتنها يلقى للزنى بختة من غير مبلودة ومقدمات . وقيلما يقتل بختة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة . فكبرية تكتمها صغائر سابقة ولا حقة . ولو تصورت كبيرة وحدها بختة ، و - يلقى إليها هود ، رى كان المعور بها أرحم من صغيرة واظب الإنسان عليها عنه ..

(١١١) تصرم - يمتزج

(١١٢) حديث غير الأعمال لومها وقد قيل : يفر عليه من سمات عائشة بلطف أحب وقد تقدم



## إعلان الذنب

ومما أن يأتى الذنب ويصير، أن يذكره بعد إتيانه أو يأتى في مشهد غيره. وفي ذلك حكمة من على سر الله لدى مدته<sup>(١١٧)</sup> عليه، وتحريك لرغبة البشر فيه، أو شهده معه فيما حياض انصمت إلى حديه، فصفت به، فإن انصاف إلى ذلك التعجب يعبر فيه والخجل عليه، وتبين الأسباب، صارت حديه رابعة، وبعد حشر الأمر وفي الخير<sup>(١١٨)</sup> كل الناس معافى إلا المتجاهرين بيبث آخذه على ذنب قد ستره الله عليه فيصيح فيكشف ستر الله ويتحدث بدله، وهذا لأن من صدق الله ووعده أنه يظهر خبيث ويسر نقيح، ولا يثبت ستر بالإظهار كمرار هذه العمة وقد بعصم لا يذنب في كل ولا بدعلا ترعب عرك فيه فذنب دبير، ولدنث قال تعالى ﴿الْمُافِقُونَ وَالْمُافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾<sup>(١١٩)</sup> وقد بعض السلب، ما تنكح المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعد على معصية، ثم يهونها عليه.

ومما أن يكون المذنب علماً يقتدى به، فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الإبريسم، وركوبه مراكب الذهب، وأخذته مال الشبهة من أموال السلاطين، ودخوله على السلاطين، وتردده عليهم، ومساعدته لإهم بترك الإنكار عليهم، وإطلاق اللسان في الأعراس وتعديه باللسان في المناظرة، وقصده الاستحقاق، واشتغاله من العنوم بما لا يقصد منه إلا الجلاء، كعلم الجلس والمناظرة، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها، هيوت العالم ويقف شره

(١١٧) سئل المتر عليه: أرعاه وأرسله

(١١٨) حديث كل الناس شمال إلا المجاهدين - الحديث - متعلق عنه من حديث أبي هريرة بنقل كل أمي وقد تقدم

والمجاهدون: المنبر، للمعصية

(١١٩) التوبة: ٦٧.

مستطراً في العلم اعداد منظومة صطوى، لمن يملك ما أتت ذنوبه معه، وفي الخير<sup>(١٢٠)</sup> من سن سنة سيئة صفة ويزرها يبرز من عيل بها لا يتفص من أوزارهم شيئاً، وفي سن ﴿وَتَكْتُمُوهَا قَالُوا قَالُوا قَالُوا قَالُوا﴾<sup>(١٢١)</sup> والآلة، ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعلم.

وفي ابن عباس: وفي لعم من الأتباع، من رلة هرجع عنها، وحملها الناس فيدهبون بها في لأوق. وقد يحسب مثل رلة العالم مثل انكسار السمية تعري ويعرق هبة. وفي لإسراييل: أن عبداً كان يعمل الدس ببدعة، ثم أدركته توبة، فعمل في الإصلاح دهره، فأوحى الله تعالى له: فليكن فيه من عذبت أو كان فيما بين وبين عذبتك وكس كيف بمن أصبت من عذبت فاحسبه - ربح فيه يصدق - أمر العنماء محط، فعليه وظيفتان لإحداهما: ترك الذنب، والأخرى: حمده. وكما تصاعف أورارهم على الذنوب، فكذلك يتصاعف ثوابهم على حسن إدانهم فرك الحسن والميل إلى الدب، وقع من باليسر وعن عمام بالقوت، ومن الكسوة بالخل، فشح عليه ويقتدى به العشاء والحرارة، فيكون له مثل ثوبهم ومن مل إلى الحسن، ماتت طمع من توبه إلى الشبهة، ولا يقدر على الحمل إلا بخدمة السلاطين، وجمع حظه من الخرافة، وحين هو سب في جميع ذنوب فحركات العنماء في صوري ابراهيم وسعد، صدعف آثارها، إذ بالربح، وإما بالخرسان: وهذا القدر كاف في تعاضل لذنوب التي التوبة توبة عنها.



(١٢٠) حديث من من سنة سيئة صفة يبرزها ويرى من حسن بها - الحديث - مسلم من حديث جرير ابن عبد الله وقد تقدم في أدب الكاتب.

(١٢١) سن: ١٢١.

## الركن الثالث

في تمام التوبة وشروعها ودوامها  
إلى آخر العسر

- بيان شروط التوبة ودوامها .
- بيان كيفية تدارك ما مضى من المصّر .
- بيان طريق كل نائب في رد المظالم .
- بيان أقسام التائبين في دوام لتوبة .
- بيان ما ينبغي أن يبادر إليه النائب - حري عليه ذلك إما عن قصد وشهرة غالية ، أو عن إلحاح نكس الاتفاق .
- ثمرة التوبة .



## الفصل الأول

### بيان شروط التوبة ودوامها

تمهيد :

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزمًا وقصدًا . وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلًا بينه وبين محبوبه . ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وثبات . ولتمامها علامة ، ولدوامها شروط . فلا بد من بيانها .

أما العلم فالنظر فيه نظر إلى سبب التوبة وسببها . وأما الندم : فهو توجع القلب عند شعوره بغوات المصروب وعلامته طول الحسرة ، والحزن ، وانسكاب الدمع ، وطول البكاء والمكر . فمن استشعر عقوبة مآلة بولده أو بهيم أضرته ، طال عليه مصيبته وبكائه . وأى عزيز أضر عليه من نفسه ، وأى عقوبة أشد من النار ، وأى شيء أذل على نزول العقوبة من المعاصي وأى خير أصدق من الله ورسوله ! ولو حدثته إنسان واحد يسمى صبيًا ، أن مرضى ولده المريض لا يبرأ ، وأنه سيصير منه : لعل في الحال حربه . فليس ولده بأعز من نفسه ، ولا الطيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ، ولا نبوت بأشد من النار ، ولا للمرض بأذل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى ، والتعرض بها للنار . فأنم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى . فعلامة صحة

الدم رقة القلب ، وحرارة الدمع . وفي الخبر <sup>(١٢٢)</sup> : جالسوا التوابين فابتهم أرقى أفقده .

ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الدوب في قلبه بدلاً عن حللها ، فيستدل بالليل كرمية ، وبالرغبة نفرة . وفي الأساليب أن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه ، وقد سأله قبول توبة عبد ، بعد أن اجتهد سبعين في معادته ولم ير من توبته مقل وعرق وجلال ، لو شمع فيه أهل السموات والأرض ما صلت توبته ، وحلاوة دمك الدوب الذي تاب منه في قلبه . فإن قلت فالتدوب هي أعمال مشبهة بالطبع ، فكيف يجد مرارها .

فأقول : من تناول عسلًا كان فيه سم ، ولم يدركه بالدوق ، واستنذه ، ثم مرض وحاد مرضه والله ، وتناثر شعره ، وفلجت أعضاؤه <sup>(١٢٣)</sup> ، يود قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم ، وهو في عاية الجوع والشهوة للحلاوة ، فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فإن قلت لا ، فهو جحد للمشاهدة والضرورة . بل ربما تنفر من العسل الذي ليس فيه سم أيضاً ، لشبهه به : فوجد أن التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلله بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل ، وعمله عمل السم . ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان . ولما عر مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى إلا معرضاً عن الله تعالى ، متهاوناً بالدوب ، مصرّ على مهاد شره من الدم ويسمى أن يدوم إلى الموت . ويهين أن يجد هذه المرارة في جميع الدوب ، وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل ، كما يجد متناول السم في العسل اللف من الماء البارد ، مهما علم أن فيه مثل ذلك السم ، إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته ورواه من حيث به سرقه وربما ، بل من حيث به مخالفه أمر الله تعالى ، وذلك جار في كل ذنب .

(١٢٢) حديث جالسوا التوابين فابتهم أرق أفقده . لم أجده مرفوعاً وهو من قول عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال جالسوا التوابين فإن رجعت الله لي الداء أقرب وقال أيضاً فلو علة إلى كل شيء أسرع وهم إلى رقة القلب وقال أيضاً فلو أسرع جملة وأرق قلباً .

(١٢٣) أصابها الفالج وهو فاء يحدث في أحد شقي البطن فيض إحساسه وحركته (الشلل النصفي) مثلاً



## الفصل الثامن

### بيان كيفية تدارك ما فات

وأما القصد الذي ينبعث منه ، وهو إرادة ترك ، فله تعلق بالحال ، وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له ، وأدرك كل فرض هو متوجه عنه في الحال . وله تعلق بالمعاصي ، وهو تدارك ما فرط . والمستقبل ، وهو دوام الطاعة ، ودوام ترك المعصية إلى الموت . وشرط حسب فيما يتعلق بالمعاصي ، أن يرد فكره إلى آون يوم بلغ فيه بالمس أو الاحتلام . ويبحث عما مضى من عمره سنة سنة ، وشهراً شهراً ، ويوماً يوماً ، ومساءً مساءً . ويصر إلى الطاعات ما أدى قصر فيه منها ، وإلى المعاصي ما الذي فرقه من

### كيفية التوبة من ترك الصلاة أو فسادها

فإن كان قد ترك صلاة ، أو صلاها في ترب محس ، أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط البية . فيقتضيها عن آخرها . فإن شئت في عدد ما فات . منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ، ويقضى الباقي . ولو أن يأخذ فيه بمطالب الظن ، ويحصل إليه عن سبيل التضرع والاجتهاد

### التوبة من ترك الصوم

وأما الصوم ، فإن كان قد تركه في سقر ولا يقضه ، أو أفطر عمداً ، أو نسي البه بالليل ولم يقض ، فيتعرف مجموع ذنبت بالتحرى والاجتهاد ، ويشغل يقصده

## التوبة من ترك الزكاة

وأما الزكاة ، فيحسب جميع ماله ، وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ ، فإن الزكاة واجبة في مال الصبي : فيؤدى ما عزم به غالب الظن أنه في دمه . إن أضافه لا عن وجه يوافق مذهبه ، بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية ، لم يخرج البطل وهو عن مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، ففقط جميع ذلك ، فإن ذلك لا يميزه أصلاً وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يصح . انتج به من تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء .

## التوبة من ترك الحج

وأما الحج ، فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يصرف له الخروج ، والآن قد أغلقت عليه الخروج . فإن لم يقدر مع الإفلاس ، فعليه أن يكسب من الحلال قدر الراد . فإن لم يكن له كسب ولا مال ، فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يبح به ، فإنه إن مات قبل الحج مات عاصياً قال عنه سلام : « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً » وإن شاة نصراًياً ، والمجز الصاريء بعد القسرة لا يسقط عنه حج فهد طريق تفتيشه عن الصاعقات وتداركها .

## التوبة من المعاصي

وأما للمعاصي ، فيجب أن يقتش من أول بلوغه عن سمعه ، وبصره ولسانه ، وبطنه ، وبهده ، ورجله ، وفرجه ، وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أزمه وساعاته ، ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه ، حتى يطلع على جميعها صحتها وكبائرها ، ثم ينظر فيها .



(١٢٤) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً — الحديث — تقدم في الحج



## الفصل الثالث

## بيان طريق كل قائب إلى رد المظالم

### المعاصي التي بين العبد وبين الله

فما كان من ذلك بين وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد ، كنصر إلى غير محرم ، وقعود في مسجد مع خنابة ، ومن مصحف بغير وصوء ، واعتقاد بدعة ، وشرب خمر وسجّ بلاه ، وغير ذلك ما لا يتعلق بمظالم العباد ، فالتوبة عنها بالنسبة وتحتصر عن ، وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المسعة ، ويطلب بكل ممعة من حصة نفسه . فإن من الحسرات بمقدار تلك السيئات ، أحداً من ، « <sup>(١٢٥)</sup> » اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها » بل من قوله « <sup>(١٢٦)</sup> » إن الحسنات يذهبن السيئات » « <sup>(١٢٧)</sup> » فيكثر سماعه » « <sup>(١٢٨)</sup> » وسجّ بذكره ويكثر القعود في المسجد حسناً بالأعتراف فيه مع الاستعانة بهيئته . ويكثر من المصحف محدثاً بإكرام المصحف وكثرة قراءة الله أن منه ، وكثرة تقيده ، وإن يكتب مصحفاً ويجعله وقفاً . ويكثر شرب الخمر بالتصدق بشارب حلال ، وهو أطيب منه وأحب إليه . وعند جميع المعاصي غير ممكن وإلى المقصود سلوك الطريق المضادة فإن المرض يمدح بصدقه . فإن ضمة ارتفعت إلى القلب تعصبة . ولا يحورها ، لا نور يرتفع إليها بحسب تصدده وتصدت هي المتناسبات . فلذلك ينبغي أن تعنى كل سيئة بخسنة من جسدتها لكن تضادها

(١٢٥) حديث اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها — الحديث — من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد ، كنصر إلى غير محرم ، وقعود في مسجد مع خنابة ، ومن مصحف بغير وصوء ، واعتقاد بدعة ، وشرب خمر وسجّ بلاه ، وغير ذلك ما لا يتعلق بمظالم العباد ، فالتوبة عنها بالنسبة وتحتصر عن ، وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المسعة ، ويطلب بكل ممعة من حصة نفسه . فإن من الحسرات بمقدار تلك السيئات ، أحداً من ، « <sup>(١٢٥)</sup> » اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها » بل من قوله « <sup>(١٢٦)</sup> » إن الحسنات يذهبن السيئات » « <sup>(١٢٧)</sup> » فيكثر سماعه » « <sup>(١٢٨)</sup> » وسجّ بذكره ويكثر القعود في المسجد حسناً بالأعتراف فيه مع الاستعانة بهيئته . ويكثر من المصحف محدثاً بإكرام المصحف وكثرة قراءة الله أن منه ، وكثرة تقيده ، وإن يكتب مصحفاً ويجعله وقفاً . ويكثر شرب الخمر بالتصدق بشارب حلال ، وهو أطيب منه وأحب إليه . وعند جميع المعاصي غير ممكن وإلى المقصود سلوك الطريق المضادة فإن المرض يمدح بصدقه . فإن ضمة ارتفعت إلى القلب تعصبة . ولا يحورها ، لا نور يرتفع إليها بحسب تصدده وتصدت هي المتناسبات . فلذلك ينبغي أن تعنى كل سيئة بخسنة من جسدتها لكن تضادها

فإن أياها يراى بالسواد لا بخزارة وحروقة. وهذا التدرج والحقيق من  
النصف في طريق الخوف والرجاء فيه أصدق، والثقة به أكثر من أن يواطى على نوع  
وحد من العبد، وإن كان ذلك أيضاً مؤثراً في عوهمها حكم ما يشاء وبين  
الله تعالى ويدل على أن الشيء يكفر بعبده أن حب الله رأس كل حقيقة،  
وأن اتباع الله في القلب تسوؤها. والحق فيها فلا جرم كان كل أدى  
بعبس الله يسوؤها فيه عن الله يكون كفرة له إذا لقلب يتحلى  
بهموم وبهموم عن دارهم <sup>فإن</sup> <sup>من</sup> <sup>الدُّنُوبِ</sup> <sup>دُنُوبٌ</sup> لا  
يُكْفِرُهَا إِلَّا لَهُمُومٌ، وفي بعض آخر: <sup>إِلَّا لَهُمُومٌ</sup> <sup>يُطْلَبُ</sup> <sup>الْمُعِيشَةِ</sup>، وفي حديث  
عائشة رضي الله عنها <sup>إِذَا كَثُرَتْ</sup> <sup>دُنُوبُ الْعَبْدِ</sup> <sup>وَلَمْ تُكُنْ لَهُ</sup> <sup>أَعْمَالٌ</sup>  
لُكِّرَتْهَا أَذْهَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ <sup>الْهُمُومُ</sup> <sup>فَكُنْ</sup> <sup>كُفْرَةً</sup> <sup>لِدُنُوبِهِ</sup>، وبعد إن أهم  
أدى بدخل عن القلب والعبد لا يعرفه هو حصة الدُّنُوبِ وهذا وشعور  
القلب بوقته حساب وهو المصعب فإن قلت: هذا الإنسان على بمله وولده  
وحده، وهو حقيقته، فكيف يكون كفرة؟

فقد أرى أن حب له خطيئة، واحترامه كفرة، ولو تمت في الخطيئة  
فقد رأى أن حريل عبه السلام، دخل على يوسف عليه السلام في السجن،  
فقال: كيف تركت شيخك ككيب؟ فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكل،  
من بعد عبد الله؟ قال آخر مائة شهيد وبس المهم أيضاً مكفرات حقوق  
الله فهذا حكمه بين الله تعالى



(١٢٧) حديث من الدُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا يَكْفُرُهَا إِلَّا لَهُمُومٌ وَفِي قَلْبِ آخِرٍ إِلَّا لَهُمُومٌ فِي طَلَبِ الْمُعِيشَةِ. قلت: قلت  
وأبو يعقوب في تحليته والخطيب في التلخيص من حديث أبي هريرة بسند طيب وتقدم الكتاب. (١٢٨)  
(١٢٨) حديث إذا كثرت ذُنُوبُ الْعَبْدِ وَمِ يَكُنْ بِهِ أَعْمَالٌ تُكْفِرُهَا أَذْهَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ <sup>الْهُمُومُ</sup> : تقدم أيضاً في  
الكتاب وهو عند أحمد من حديث عائشة باللفظ سلام الله في آخر

## مظالم العباد

وأما مظالم العباد فبها أيضاً معصية وحماية من حو الله تعالى به الله تعالى  
أي عن ظلم العبد أيضاً فقد يتحقق منه - الله تعالى تتركه بانه  
والنحر، وتركه مثله في المسيرة، والإيمان، حيث سى هي أصدده  
فيقابل إبداءه الناس بالإحسان بجهه ويكفر حساب أموره يستحق منك  
الحلال ويكفر تناول أغراضهم بأهنة وقسح به الله، على أهل الدين،  
وأصهار ما يعرف من حساب آخر من أمره، منه ويكفر من الغشوم  
باعتق رزقك لأن ذلك يحيا بذا العبد بعبده، موحود سيده  
وإلا عتق إبداء لا يقدر الإنسان على أكثر منه، من الإبداء بالإبداء وبها  
يعرف أن ما ذكرناه من سبب صريح المتدلة في تكفير وهو مشهود به في  
الشرع، حيث كثر أهل بوعي رقة، ثم بعد ذلك كنه به بجهه وبه  
يكفه، ما يخرج عن مظالم العبد، وهذه عتده، في غشوم، أو لأموال،  
أو الأعرص، أو الصوب شيء به لإبداء المخص من لغشوم، فإن جرى عليه  
قتل خطأ، حوته بتسليم الدية ووصوفه إلى المسحق، بما منه أو من عاقته،  
وهو في عهده ذلك قيل توصي وإن كان عملاً موجباً للقصاص  
فالقصاص: فإن لم يعرف فيجب عليه أن يعرف عدو من الله، ويحكمه في  
روحه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء قتله ولا تسف عهده إلا به. ولا يجوز  
له إحصاء وليس هذا كما نرى، أو شرب، أو سرق، أو قلع صريع، أو  
بشر ما حب عليه به حد الله تعالى، فإنه لا يبرأ في توبة أن يعصم نفسه،  
ويبت مشرقة ويتنعم من الوالي متبع، حق من تعالى بين عليه أن يتستر  
بسر الله تعالى، ويقم حد الله على نفسه بأنواع عتده والتعبد والمعو في  
محض حقوق الله تعالى قريب من سبب شامدين فإن رفع أمر هذه إلى الوالي  
حتى قوم عليه الحد، وقع موقعه، وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله



تعالى ، بنليل ماروى (١٦٦) أن ماعز بن مالك ، أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إلى قد ظلمت نفسي وزنت ، وإلى أريد أن تطهرني . فرده . فيها كان من المدة أنه قال : يا رسول الله إلى قد زنت . فرده الآية . من كان في الثالثة ، أمر به فحفر له حفرة ، ثم أمر به فرجم . فكان الناس فيه مريعين فقليل يقول قد هلك وأحاص به حصيته وقيل يقول ما توبة أصيد من ماله . من رسول الله ﷺ ، لقد تاب توبة لو قُسمت بين أمة لموسعتهم . وجاءت العامية فقلت يا رسول الله ، إلى قد ربيت طهرني . فردها . فلما كان من المدة قالت يا رسول الله ، م بردي ؟ عليك يريد أن ترددي كما رددت ماعزا . فوافقه إلى الحبل . فقال ﷺ : أما الآن فأذهبني حتى تغضي . فلما ولدت أتت بالعسي في خرقة . فقالت هذا قد ولدت . قال : اذهبي لأزعيجه حتى تقطعيه . فلما قطعت أتت بالعسي وفي يده كسره . عز ، فقالت يا سي الله ، قد قطعت . وقد أكل الطعام فدفع العسي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجوها . فأقبل خالد بن الوليد بحجر ، رمى رأسها ، فصاح به عن وجهه . فسمع . فسمع رسول الله ﷺ به إياها فقال : مهلاً يا عائشة فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكسر كفر له . ثم أمر بها فصل عليها ودفت .

وأما القصاص وحد القذف : فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه . وإن كان المتناول ما لا تناوب به نصب ، أو خيبة ، أو عين في معصية تدع تبرر ، كترويح زائف ، أو ستر عيب من المبيع ، أو غش في أجرة أجر ، أو مع أخرى . فكل ذلك يجب أن يغتفر عنه لا من حد بلوغه ، بل من أول مدة وجوده . فإن ما يجب في من العسي يجب على العسي إخرجه بعد السوء ، إن كان سورا .

(١٦٦) حديث أخرجه ماعز بن مالك ورواه ﷺ حتى يعرف أربعا وقوله لقد تاب توبة . الحديث . سلم من حديث بريدة بن الحصيب .  
وإذا لم يحسنه الطهنية والعتقها بالثوب ورجعها وقوله ﷺ لقد تاب توبة . الحديث : مسلم من حديث بريدة وهو يصر الذي فيه .

قصر فيه ، فإن لم يفعل كان ظاناً مطالبا به . . . . . في حدود ماله العسي والبالغ . ولبحاسب نفسه على الحيات والدمائر من أول يوم حياته إلى يوم توبته . قبل أن يحاسب في القيامة . وليأقش قبل أن ياقش من لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في آخرة حسابه . فإن حصل محمد . ما عليه بقى غالب ونوع من الاجتهاد ممكن ، فليكن به ، وليكتب أسامي أصحاب المظالم واحداً واحداً ، وليطع في نواحي العالم وليطالبهم ، وليستحلهم . أو ليؤد حقوقهم . وهذه التوبة تشق على الظلمة وعمل التجار ، فإنهم لا يسرون على طلب المعاصي كنهم ، ولا على طلب ورثتهم . ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يعتبر عليه . فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من حسرات ، حتى تفيض عنه يوم القيامة ، فتؤخذ حسنته وتوضع في موازين أرباب المظالم وتكن ككرة حسنته بقدر ككرة مظالمه ، فإنه إن لم تف بها . - - - - - حبل من سيئات أرباب المظالم ، هيلك بسيئات غيره .

فهذا طريق كل تائب في رد المظالم . وهذا يوجب استمراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف ذلك مما لا يعرف ، وربما يكون الأجل قريباً فيبني أن يكون تشبهه بحسنات والوقت ضيق ، أشد من تشبهه الذي كان في المعاصي في مشي الأوقات . هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته . أما أمواله الخاضعة . فليرد إلى مالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه أن يتصدق به . فإن احتبط الحلال بالحرم فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ، ويتصدق بذلت إصدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرم . وأما الحدية عن القيوب فتأب الناس بما يسوءهم أو يهيب في النية . فيطلب كل من تعرض له بلسانه ، أو ذى قلبه بفعل من أعماله ، وليستحل واحداً واحداً منهم . ومن مات أو عت فقد مات أمره ، ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات ، فتؤخذ منه حوضاً في حياة . وأما من زوجته وأحله يعيب نسب منه . عدت كفرته . وعليه أن يبره قدر جهاته وتعرضه له . فالاستحلال المهيأ لا يكفي . وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم يطلب نفسه بالإحلال ، وأدخر ذلك في القيامة فذخيرة يأخذها من حسنته ، أو يحمله

من سيئاته . فإن كان في جملة جنائبه على العبر ما لو ذكره وعرفه لتأدى بحرفته ، كرمه بخاريته أو أهله ، أو نسيته باللسان إلى عيب من عفاها عبوة . معظم أذاه مهما شوله به ، فقد اتسد عليه طريق الاستحلال ، فليس له إلا أن يستحل منها ، ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسرات ، كما يجبر مظلمة الميت والعائب . وأما الذكر والتعريف فهو سبقة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنائبه ، وعرفه اجبى عليه . فلم تسمح نفسه بالاستحلال ، بقيت المعصية عليه . فإن هذا حق . فعليه أن يتلطف به ، ويسعى في مهماته وأعرافه ، ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه . فإن الإنسان عبد الإحسان ، وكل من نثر بسبقة مال بحسنة . فإذا طاب قلبه بكثر تودده وتلطفه ، صححت نفسه بالإحلال . أى إلا الإصرار ، فيكون تلطفه به واعتدائه إليه من جملة حسناته . لئى يمكن أن يجبر بها في القيامة جنائبه . ولكن قدر سمعه في فرحة ومرور قلبه بتودده وتلطفه ، كقدر سمعه في أذاه حتى إذا قاوم أحدهما الآخر ، أو زاده عليه . اخذ ذلك منه عوضاً في القيامة يحكم الله به عليه . كمن أتلف في الدنيا مالا ، فجاء بمثله ، فامتنع من له المال من القول وعن الأبراء ، فإن الحاكم يحكم عليه بالتعويض منه شاء أم أبى .

### نجاة المرء برجحان ميزان حسناته

فكذلك يحكم في صعود القيامة أحكم الحاكمين ، أو أعدل المقسطين : وإن المتع عليه من صحيحين ، عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال (١٣) : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أغلظ أهل الأرض فذبحه عبي رابع فأثاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة قال لا فقله فكش به مائة ثم سأل عن أغلظ أهل الأرض فذبحه على رجل عاليم فقال له إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول

(١٣) حديث أبي سعيد الخدري عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال (١٣) : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أغلظ أهل الأرض فذبحه عبي رابع فأثاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة قال نعم ومن يحول

توبة ويش التوبة الطلق إلى أرض كذا وكذا في . ما يغفون الله عز وجل فاعف الله عنهم ولا ترجع إلى أرحك فرب . سوء فالتطيق حتى إذا بصف الطريق أتته الموت وحضت في . الرخصة وملانكة العذاب فقلت ملائكة الرخصة حيا ، ثانياً فملاً بصف . الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يفعل خيراً فقد فادته ميت في حيا . دمي فمعلوه حكماً منهم فقال قيسوا بين الأرضين فإن أتيت في ذبي فهو له قدسوا فوجدوه ذبي إلى الأرض التي أراد فتصنعت ملائكة الرخصة ، وإن . به فكان إلى القرية الصائحة أقرب منها بشير فحيا من أهله . إلى ربه . فأوحى الله تعالى إلى قلبه أن تهاجدي وإلى خلد . فترى وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشير ففعلوه .

فهذا تعرف أنه لا يحل إلا . حجان ميزان حسناته . ولا بد من تكبير حيا . هذا حكم الله تعالى

وإن المرء يربط بالأسير . فهو من يمس مع . مقاً مؤكلاً . وبعد . معه وشو . أن لا يعود إلى ثمت الذنوب ، بل إلى مثاها . كالتدى يصم في مرضه . فأكهة تضره مثلاً ، فيعزم عزمًا جزمًا لا يتناول العاكهة مالم يزل مرضه . فإن هذا العزم يتأكد في الخلل ، وإن كلف جسد . أن تعلبه الشهوة في ثاني الحان . ولكن لا يكون . ثانياً مالم يتأكد حرمة في لشد . ولا يتصور أن يتم ذلك لتائب في قول أمره إلا بالحرقة ، والصحة وقت . واليوم ، وإحراز قوت حلال . فإن كان له مال موروث حلال ، أو كاتبة حرقة يكتب بها قدر الكفاية ، فيمصر عليه . من رأسه انحصر أكلى . فكيف يكون تائباً مع الإصرار عليه ! . ولا يكتبى بإحلال وترك . من لا يتدر عن ترك الشهوات في المأكولات والمليوبات . وقد قالوا حسبي : من صدق في ترك شهوة واحدة عسى الله يسير مرره . شيساً ودر . حر . من ذب من ذب واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبداً .

ومن مهمتها التنبؤ إذا لم يكن عادياً، أن يتعمق ما يجب عمله في المستقبل.  
وما يحرم عليه، حتى يمكن الاستغناء. وإن لم يؤثر العبرة لم تتم له الاستفادة  
المطلقة، إلا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والرفا  
والغضب مثلاً، وليست هذه توبة مطلقة. وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة  
لا تصح. وقال قائلون: تصح. وأعطى الصحة في هذا المقام مجمل. بل نقول  
من قال لا تصح إن حيت به أن تركه بعض الذنوب لا يعود أصلاً، بل وجوده  
كعدمه، قد أعظم خطئاً. فإن بعض أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب،  
وقتها لسبب لقلته. ونقول لمن قال تصح، إن أردت به أن التوبة عن بعض  
الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفور، فهذا أيضاً خطأ. بل النجاة  
والفور يترك الجميع هذا حكم الظاهر. — شكلم في مخايا أسرار حقو الله.

فإن قال من ذهب إلى أنها لا تصح. إلى أردت به أن التوبة عبارة عن  
الندم، وإنما يندم على السرقة مثلاً لكونها معصية، لا كبر سرقة. ويصح  
أن يندم عليها دون الرضا إن كان توجهه لأجل المعصية، من لئمة شامة فما،  
إذ من يتوجه على قتل ولده بأسيف يتوجه على قتله بالسكّر، لأن توجهه  
بقوات محبوه سواء كان بأسيف أو بالسكين، فكذلك توجه العبد بموت  
محبوه، وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا، فكيف يتوجه على  
البعض دون البعض، فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية معصية للمحبوب  
من العيب إنها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض،  
ولو جاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر، فإذا استحال  
ذلك من حيث إن المعصية في الحسرين واحد، وإنما الدنان ظروف فكذلك  
أعيان المعاصي آلات للمعصية، والمعصية من حيث مخالفة الأمر واجبة، فإذا  
مضى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة، وثالث الرتبة لا قال لا  
بالندم. ولا يتصور الندم على بعض المآثلات فهو كالبللث المرتب على الإيجاب  
والقبول فإنه إذ لم يتم الإيجاب والقبول نقول إن العقد لا يصح، لم يترك عنه  
الشره وهو أنى سبب يرفع هذا ثمره عند الشره لا ينفع عنه عقاب

ما تركه، وثمره الندم تكفير مسبق ميث الرشد يكفر السرقة، بل ندم  
عليها. ولا يتصور ندم إلا كبر، معصية واحدة. على جميع المعاصي

وهو كلال مفهوم وقع، يستحق الاستغفار. بل يمكن أن يكون بعض  
منقول التوبة عن بعض الذنوب لا تملأ إما تكون عن الكبائر دون  
الصغائر، أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبر. من كبيرة. أما التوبة عن  
الكبائر دون الصغائر، فامر ممكن. لأنه يعلم. الكبائر أعظم عند الله،  
وأحب سبحانه الله ومقتته. والصغائر أقرب إلى نفي في العفو لا لا يستحق  
أن يتوب عن الأعظم ويستم عليه. كالذي. على أمن سبب وحرمة.  
ويحسب على دابته فيكون خائفاً من أحذية على لا. مستحق سببه عن  
الداية والندم بحسب استعظام الذنب واعتداد كد. بعد عن شدة ندم وهذا  
ممكن وجوده في الشرع. فقد كثر التأنيون في الأمر حذيه. وه يمكن أحد  
منه معصوماً فلا تستدعي التوبة معصية. وقد قد صدر مريض يعمل  
تحسيراً شديداً، وحذره لسكر حديراً أحف منه. من وجه يشعر معه أنه ربما  
لا يظهر صرر السكر أصلاً، فيتوب المريض بقوله عن بعض دون السكر.  
فهد غير محل وجوده وإن أكلهم جميعاً بحكمه شبهة، ندم على أكل بعض  
دون السكر انتهى أن يتوب عن بعض نكثاً. بعض وهذا أيضاً ممكن  
لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأعظم عند الله. كذا يتوب عن القتل.  
والنهب، والظلم ومظالم العباد، لعلمه أن ديوان حديد لا يترك، وما يسه وبين  
الله يتسارع العفو إليه. فهذا أيضاً ممكن، كما في تعدد الكبائر والصغائر لأن  
الكبائر أيضاً متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبيها. ولذلك قد يتوب عن  
بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد، كما يتوب عن شرب الخمر دون الرضا مثلاً،  
إذ يتصح له أن الخمر مفتاح الشرور، وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي  
وهو لا يدري. فيحسب ترجع شرب الخمر عنده بنعت منه خوف، يوجب  
ذلك تركاً في المستقبل وندماً على الماضي. الثالث: أن يتوب عن صغيرة أو  
صغائر، وهو مصر على كبيرة معصم أنها كبيرة كاستيواب عن المعصية، أو عن

النظر إلى غير المحرم ، أو ما يجري مجراه ، وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضاً  
ممكن ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ، وبإدام عن  
فعله ندماً إما صميفاً وإما قوياً ، ولكن تكون لذة ندمه في تلك المعصية أقوى  
من ألم قلبه في الخوف منها ، لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل  
والغفلة ، وأسباب توجب قوة الشهوة ، فيكون الندم موجوداً ، ولكن لا يكون  
ملياً بتحريك العزم ، ولا قوياً عليه . فإن سلم عن شهوة أقوى منه ، إن لم  
يعارضه إلا ما هو أضعف ، قهر الخوف الشهوة وغلبها ، وأوجب ذلك ترك  
المعصية ، وقد تشتد صراوة الناس بالخمر ، فلا يقدر على الصبر عنه ، وتكون  
له ضرروة ما بالعينة ، وتلب الناس ، والنظر إلى غير المحرم ، وخوفه من الله قد  
بلغ مبلغاً ينفع هذه الشهوة الضعيفة دون القوة ، فيوجب عليه جند الخوف  
إباحت العزم للترك ، بل يقول هذا العاقب في نفسه . إن قهرني الشيطان  
بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي ، فلا ينبغي أن أخلع العذر وأرغمي  
العتان بالكفارة ، بل أجاهده وبعض المعاصي ، فمالي أعية ، فيكون قهرى له  
في البعض كفارة لبعض ذنوبى . ولو لم يتصور هذا لما تصور من العاقب أن  
بعض وبصوم . وسئل له إن كانت صلاتك لعير الله فلا تصنع ، وإن كانت قد  
فترك العسق لله . فب أمر الله فيه واحد ، فلا يتصور أن تقصد بصلاتك  
التقرب إلى الله تعالى ، ما لم تتقرب بترك العسق وهذا حال بأن يقول . لله تعالى  
عل أمرى ، ولعل الخالصة فيها عقوبتان . وأنا مل في أحدهما يظهر الشيطان  
عاجز عنه في الآخر ، فأنا أقهره فيما أقدر عليه ، وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكبر  
عن بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتى . فكيف لا يتصور هذا ، وهو حال  
كل مسلم ؟ إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ، ولا سبب له  
إلا هذا . وإد فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب يمكن  
وجودها . والخوف إذ كان من فعل من ورث الله ، والندم يورث العزم  
وقد قال النبي ﷺ **والتندم ثوبة** ، وم يشهد الدم عن كل ذنب . وقال  
**والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** ، وم يقب التائب من الذنوب كلها

وهذه المعاني ثلث صفوط فوق التثليل . إن . . . عن بعض الذنوب غير  
ممكنة ، لأنها متباعدة في حق الشهوة ، وفي حق الله . من إن سخط الله . . .  
نعم يجوز أن يتوب عن شرب خمر دون سببه . . . . .  
ويتوب عن الكثير دون القليل ، لأن كثرة الذنب . . . . .  
فيساعد الشهوة بالعزم الذي يمحى عنه . . . . . بعض شهوته لله تعالى  
كالمرضى الذي حذر الطبيب الفاكهة ، فإنه قد يتناول قليلها ، ولكن  
لا يستكثر منها ، فقد حصل من هذا أنه لا يمكن . يتوب عن شيء ولا يتوب  
عن مثله بل لابد أن يكون ما تاب عنه عند ما يقب عليه . إما في شدة  
المعصية وأما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التمسك في اعتد التائب ، تصور  
اختلاف حاله في الخوف والندم . فيتصور اختلاف حاله في الترك . فندمه على  
ذلك الذنب ، ووجهه بعزمه عن التمسك بيمينه . . . . .  
أطاع الله في جميع الأمور . . . . .  
الذي قاربه قبل طوبى . . . . . لأن الله . . . . .  
على الترك فيما يقدر على فعله . وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه  
إياه . ولكن أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحق به ضرر الربا  
الذي قاربه ، وفارعه احتراق ، ومحرم ونده . . . . .  
باقية لكأن حرقه الله ندمه . . . . .  
مكفراً لذنبه ، وماحيا عنه سببه إذ لا خلاف في أنه لو تاب قبل طرمان العنة ،  
ومات عقب التوبة ، كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تبيح فيها الشهوة .  
وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه تائب باعتد أن ندمه بلغ مبلغاً أوجب  
صرف قصده عن الربا لو ظهر قصده . فإذا لا يستعمل أن تبلغ قوة الندم في  
حق العزم هذا المبلغ ، إلا أنه لا يحرقة من نفسه . فإن كل من لا يشئ شيئاً  
يقدر نفسه قادراً على تركه بأذى بخوف . . . . .  
مقدار ندمه ، فمساها يقبله من قبل الظاهر أنه يقب . وحقيقة في هذا كله ترجع  
إلى أن ضمة معصية سحى عن النفس شيئاً . . . . .

شدة الشهوة بترك في المشتل وقد امتعت اجددة برول الشهوة ولكن ليس  
محالاً أن يجرى ندم تحت يقوى على محو دون اجددة ولو لا هذا فقد  
شهوة لا تقل ما لم يعش الشاب بعد التوبة منه ، يجاهد نفسه في عين تلك  
الشهوة مرات كثيرة . وذلك كما لا يدل ظاهر الشرح على سراحه أصلاً . ومن  
فب' يد فرصة ثانية ، أحدهم سكنت نفسه عن المروع في الحب ، وذاكر  
في نفسه مروع ربه وجرى بعده ، ونحوه . فليما فصل ؟

فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه . فقد أحمد من أن يجرى وأصحاب  
أبي سليمان الباري : إن المجاهد أفضل ، لأن مع التوبة فصل الجهاد . وقد  
علماء البصرة : ذلك الآخر أفضل ، لأنه لو خسر في توبته كان أقرب إلى السلامة  
من المجاهد الذي هو في عرصه امتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من  
الفرق لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال حقيقته وإحقاقه أنه الذي  
تفعل مروع نفسه في حال

أحدهم أن يكون المقصود مروع ربه تصور في نفس شهوة مقصد ،  
ومعينة فصل من هذا . إذ تركه . فجدد قد دل على قوة نفسه ، وسبلاء  
ديه عن شهوته ، فهو يدل قصب على قوة النفس ، وعلى قوة الدين . وأغنى  
قوة حتى قوة لإردده حتى تسعت بإشارة اليقين ، وجميع الشهوة بعبته  
بإشارة الشيطان . فها تارة هو دل على عزمه عليه قطع . وتكون التفتت .  
هذا أسلم ، إذ هو لا يعود إلى نفسه ، عهد صحيح ولكن يستعمل بعض  
لأفضل منه حصاً وهو كثرة التفتت ، من أفضل من العمل ، لأنه في أمر من  
خطر الشهوة ونصي أفضل من السج ، لأنه أسلم . وأفضل أفضل من است  
القاهر فقامع لأعدائه ، لأن نفس لا عيب به ، واست ربه يفت مره وإ  
غلب مرات . وهذا كلام رجل سليم القلب ، قاصر النظر على العواهر ، غير  
عالم بأن العر في الأخطار ، وأن العلو شرطه اقتحام الأعر . بل هو كقول  
الفاصل : الصياد الذي ليس له قرص ولا كلب ، أفضل في ساعة الاصطياد  
وأعلى رتبة من صاحب الكلب والقرص . لأنه آمن من أن يفتح به فريسه ،

فكسر أعينه عند سقوطه عن الأرم . وآمن من أن يعصه الكلب  
ويجربى عليه . وهذا حيل بل صاحب الله . والكلب إذا كان قوياً غلب  
بصريق تدبيره على ربه أخرى بترك سدد هيب

حينئذ لا بد أن يكون بطلان الروح برب قوة اليقين ، وصدق الشهادة  
سعد . إذ يبع سعد فبع هيجان شهوة . . . أدبت بأدب تسرع ، فلا تفتح  
لا بالإشارة من الدين . وقد سكنت بسرا سلاء الدين عيب عهد على  
رمة من عهد مقدس هيجان شهوة وقصر . وقول نقائل ليس أدبت فقص  
حياد قصور عن لإحدهم مقصود جهده . جهده ليس مقصود عيه بل  
مقصود قصب ضرورة العدو ، حتى لا يست . إلى شهوته ، ومن عجز عن  
استحريك فلا يصح من سلوكه . فإذا فهرته وحصلت المقصود ،  
فقد ظهرت وما دلت في الشهوة ، فلت به . طلب الظفر . ومثاله كمثل  
من فخر لغو واسترغ ، بالإضافة إلى من هو . يعون بجهدي في صف انصب ،  
ولا يدري كيف يصيب . ومثله يقص . عدم كلب الصيد . ومن  
لغرس ، عهد بائم . عده بعد ترك كلب الصرورة وعرض جراح ،  
بالإضافة إلى من هو مشغول بمسألة التدبير . وقد ربح في هد فريق ،  
قصوا أن الجهاد هو مقصود لأقصى ، وه بهمة أن أدبت ضب لمخلص من  
عواقب الطريق ، وظل آخرون أن قمع الشهوة . وماضتها بكيفية مقصود حتى  
جرب بعضهم بنفسه ففجر عنه ، فقال هذ حال فكذب بالشرح ، وسكت  
سبيل الإباحة ، واسترسل في اتباع الشهوات . وكل أدبت حيل وصلان وقد  
قررنا ذلك في كتاب رياضة النفوس من ويلج لهيكات . فإن قلت : لما قولك  
في تأييد ، أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتذكر فيه ، والآخر جعله نصب  
عنه ولا يزال يتذكر فيه ويحترق فندماً عليه . فأيما أفضل ؟

### أيما أفضل ؟

فاعلم أن هذا أيضاً قد اختلفوا فيه . فقال بعضهم : حقيقة التوبة أن تصب

ذَلِكَ كَيْفَ تَقْبَلُكَ وَقَالَ آخَرُ: حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ أَنْ تَتَّعِزَّ ذَنْبِكَ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ  
الْمُتَدَبِّرِينَ عِنْدَنَا حَقٌّ ، وَلَكِنْ بِالْإِصَافَةِ إِلَى حَالِهِ . وَكَلَامُ الْمُتَوَصِّفَةِ أَيْدَى يَكُونُ  
قَصِيراً ، فَإِنَّ عَادَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُ أَنْ يَجْرَعَ عَنْ حَالِ نَفْسِهِ فَقَطْ ، وَلَا يَتَّعِزُّ حَالِ  
غَيْرِهِ ، فَتَحْتَلِفُ الْأُخُوَّةُ لِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَهَذَا يَنْفَصِلُ بِالْإِصَافَةِ إِلَى أَهْلِ  
وَالْإِرَادَةِ وَاحِدٍ ، حَيْثُ يَكُونُ صَاحِبُهُ مَقْصُورَ الْبَصَرِ عَلَى حَالِ نَفْسِهِ ، لَا يَتَّعِزُّ  
أَمْرَ غَيْرِهِ . بِدَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ نَفْسُهُ وَمِنْهُ أُنُوحُهُ . وَهَذَا يَكُونُ صَرِيحاً حَيْثُ  
اللَّهُ الْعَمَلُ فَصَرَفَ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ كَثِيرَةٍ مِنْ كَلَامٍ مُحْتَمِلَةٍ فِي تَعْرِيفِهِ وَتَعْبُدُ ،  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ، مَعَ الْأَشْرَافِ فِي أَهْلِ هَذِهِ . وَأَقُولُ . تَصَوُّرُ  
الذَّنْبِ وَذِكْرُهُ وَتَضَمُّعُ عَلَيْهِ ، كَالِ فِي حَقِّ الْمُتَدَبِّرِ ، لِأَنَّهُ إِذَا تَتَّعِزُّ لَمْ يَكُنْ  
احْتِرَاقَهُ ، فَلَا تَقْوَى إِزَادَتُهُ وَاتِّبَاعُهُ لِسُلُوكِ الطَّرِيقِ . وَلَئِنْ دَعَا بِسُحْرٍ مِنْ  
أَخْرَجَ وَالْخُوفَ الْوَارِعَ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَى مِثْلِهِ . فَهُوَ بِالْإِصَافَةِ إِلَى سَائِلِ الطَّرِيقِ  
تَقْصِيصاً . فَإِنَّ شَعْلَ مَانِعٍ عَنِ مَلُوكِ الطَّرِيقِ . هَلْ سَائِلُ الطَّرِيقِ يَسْمَى أَنْ  
لَا يَجْرَعَ عَلَى عَمْرِ السُّلُوكِ . فَإِنَّ ظَهَرَ لَهُ مَبَادِيءُ الْوُصُولِ ، وَانْكَشَفَتْ لَهُ أُنُوحُ  
الْمَعْرِفَةِ وَلَوَاعِ الْغَيْبِ ، اسْتَفْرَقَهُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَتَبَعٌ لِلْإِصَافَةِ إِلَى مَا سَبَقَ  
مِنْ أَحْوَالِهِ ، وَهُوَ الْكَمَالُ ، هَلْ لَوْ عَاقَ الْمَسَافِرُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ نَهْرٌ  
حَاجِزٌ ، طَالَ تَعَبُ الْمَسَافِرِ فِي عُبُورِهِ مَدَّةً ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ قَدْ غَرِبَ جَسَرُهُ  
مِنْ قَبْلِ . فَلَوْ جَلَسَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ بَعْدَ عُبُورِهِ ، يَكُنِي مُتَأَمِّقاً عَلَى تَعْرِيفِهِ  
الْجَسَرِ ، كَانَ هَذَا مَانِعاً آخَرَ اشْتَعَلَ بِهِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ ذَلِكَ الْمَتَبَعِ . نَعَمْ إِنْ لَمْ  
يَكُنِ الْوَقْتُ وَقْتُ الرَّحِيلِ ، هَلْ كَانَ كَالسَّيْلِ لَا يَتَغَيَّرُ السُّلُوكُ ، لَوْ كَانَ عَلَى طَرِيقِهِ  
أَنْهَارٌ وَهُوَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَمُرَّ بِهَا ، فَيُطْلَقَ بِالْبَيْلِ نِكَازُهُ وَحَرَّتُهُ عَلَى تَعْرِيفِ  
الْجَسَرِ ، لَيَتَأَكَّدُ بِطُولِ الْحَرَنِ عَزَمَهُ عَلَى أَنْ لَا يَمُودَ إِلَى مِثْلِهِ . إِنْ حَصَلَ لَهُ مِنْ  
التَّيْبَةِ مَا وَثَقَ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يَمُودُ إِلَى مِثْلِهِ ، فَسُلُوكُ الطَّرِيقِ أَوَّلَى بِهِ مِنَ الْإِشْتِعَالِ  
بِذِكْرِ تَخْرِيبِ الْجَسَرِ وَالْبُكَاءِ عَلَيْهِ . وَهَذَا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ ،  
وَالْمَقْصِدَ ، وَالْعَاقِبَةَ ، وَطَرِيقَ السُّلُوكِ وَقَدْ أَشْرَفَ إِلَى تَبَوُّجَاتِ مَتْنِهِ فِي كِتَابِ  
الْعِلْمِ ، وَفِي رُبْعِ الْمَهْكَاتِ . هَلْ يَقُولُ شَرْطُ دَوَامِ التَّوْبَةِ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْفَكْرِ فِي

سَعْيِهِ فِي آخِرَةِ لَتَرِيدٍ رَجَعَهُ . وَلَكِنْ . كَلَامُ . هَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَطِيلَ فِكْرُهُ فِي  
كُلِّ مَالِهِ بَصِيرَةٍ فِي سَبَبِ كَافُورٍ وَغُصُورٍ . مِنْ لَدُنِ الْفَكْرِ رَغْبَةً بِمُحَرِّكَ رَغْبَتِهِ ،  
بِطَلَبِ الْعَاجِلَةِ وَلَا يَرْمِي بِالْآجِلَةِ . هَلْ يَنْبَغِي . يَتَمَكَّرُ فِي لَذَّةِ اسْطِرْلَاقِ وَجْهِ  
اللَّهِ تَعَالَى فَقَطْ . فَذَلِكَ لَا طَيْرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا فَحَسْبُكَ تَذَكُّرُ الذَّنْبِ قَدْ يَكُونُ  
مُحَرِّكاً لِلشَّهْوَةِ . فَالْمُتَدَبِّرُ أَيْضاً لَدُنْ يَسْتَضِرُّ بِهِ . يَكُونُ السَّبِيلَ أَهْضَمَ لَهُ عَدَدُ  
دَعَا

وَلَا يَفْعَلُ عَنْ تَقْدِيرِهِ . فَالْحَقِيقَةُ مِنْ بَيْنِهِ دَعَا وَبِهَا عِبَادَةُ  
سَلَامٍ مِنْ قِيَسَاتِ الْعَمَلِ عَلَى الْأَسْبَابِ قِيَامُ . عِبَادَةُ الْأَعْرَاجِ ، لِأَنَّهُمْ قَدْ  
يَمُوتُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَتَقَعْدُ إِلَى لَدُنْ حَتَّى الْإِلَهَةِ بِأَمْنِهِمْ ، فَلَيْسَ مَا يَبْشُرُوا إِلَّا  
بِالْإِشْرَافِ ، فَعَبِيدُ اللَّهِ لَا تَنْتَبِهُنَّ عَنْهُمْ مُشَاهِدَتُهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بَارِزاً عَلَى  
دُرُورَةِ مَدَامِهِمْ . فَكَيْفَ كَانَ فِي الشُّيُخِ مِنْ لَا يَمُرُّ عَلَى مَرِيدِهِ بِتَوْعِ رَهَابَةٍ إِلَّا  
وَيُخَوِّضُ مَعَهُ فِيهَا ، وَقَدْ كَانَ مُسْتَعِياً عَلَيْهِمْ لَمْ يَكُنْ عَنِ الْمَجَاهِدَةِ وَتَأْدِيبِ النَّفْسِ  
سَهْلاً يَلْمِزُ عَنْ أَمْرِهِ . وَكَانَ قَدْ قَالَ : أَنَا إِنِّي لَا أُنْسِي وَلَكِنِّي  
لَنْسِيَ لِأَشْرَعِ ، وَفِي عَمَلِهِ . إِنَّهُ أَمْسَهُ لِأَمْرِهِ .

وَلَا تَتَعَبُ مِنْ هَذَا ، مِنْ الْأَمْرِ فِي كَيْفِ حَقِّهِ كَالْحَسَنَةِ فِي كَيْفِ  
شَفَقَةِ الْآبَاءِ ، وَكَانُوا شَيْءٌ فِي كَيْفِ رَجْعِهِ . هَلْ فِي الْأَمْرِ دَعَا يَسْتَصْرِ  
وَلَدَهُ الْعَبْدِ ، كَيْفَ يَنْزِلُ إِلَى دَرَجَةِ نَفْسِ غَيْرِهِ ، كَمَا قَدْ قَالَ : فَكَيْفَ  
الْكَيْفِ كَيْفَ . لَمَّا أَخَذَ مِنْ قَرْنِ الْعَصْفَةِ وَوَضَعَهَا فِي يَدِهِ . وَمَا كَانَتْ فَصَاحَتُهُ تَقْصُرُ  
عَنْ أَنْ يَقُولَ : أَوْمِ هَذِهِ الشَّمْرَةُ إِنَّمَا حَرَامٌ . وَلَعَلَّه لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ ،

١٣٢ . حَدِيثُ مَنْ لَا أُنْسِي وَلَكِنْ لَنْسِيَ لِأَشْرَعِ . ذَكَرَهُ . هَلْ يَنْبَغِي سَدُّ وَقْفِ الْمَرْعِيِّ . لَا  
يُوحَدُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا بِدَعْوَةِ وَكَلَامِهِ . هَلْ يَمُودُ مِنْ هَذَا صَرِيحِ مَالِكٍ وَدَعَا  
هَذَا الْأَمْرِ وَهَذَا الْحَقِيقَةُ مِنْ بَيْنِهِ دَعَا وَبِهَا عِبَادَةُ . هَلْ فِي الْأَمْرِ دَعَا يَسْتَصْرِ  
قَالَ . وَفِي بَعْضِ صَحَابَةِ الْحَدِيثِ . هَلْ يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ .  
(١٣٣) حَدِيثُ مَنْ لَا أُنْسِي وَلَكِنْ لَنْسِيَ لِأَشْرَعِ . هَلْ يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ : هَلْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ حَدِيثِ مَنْ  
فَرِيدَةٍ وَتَقَدَّمَ فِي كِتَابِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ .

ترك التضاحة وبرل إلى كنهه<sup>(١٣١)</sup> إلى الذي يعد منه أو صغر . يصوت ه  
وعاء<sup>(١٣٢)</sup> أو صغيراً تشبهاً بالهيبة والضاغر ، تصدق في بعضه . هـ . أن بعض  
عن أمثال هذه الدول ، فإنها مرلة أقدام العربيين فضلاً عن العذلين ، سأل الله  
حسن التوفيق بطلعه وكرمه .



## المجل الرابع أقسام العباد في دهر التوبة

اعلم أن الدين في التوبة على أربع طبقات

توبة ذي النقص المظننة

الطبقة الأولى أن يتوب مدعي . هـ . عن سببه إلى آخر عمره  
فيذكر مدعي<sup>(١٣٣)</sup> من أمره . هـ . لا حـ . هـ . هو من دهره . لا التوب  
التي لا يثبت بشرع في تعدد مهج . هـ . إلى في رتبة التوبة . فهذا هو  
الاستقامة على التوبة . وصاحبه هو السليم . حيراب مستند . السكت  
حسان . ونسب هذه التوبة لتوبة النصوح . ونسب هذه النفس الساكنة نفس  
مستقيمة ، التي ترجع إلى ربها رغبة مرضية . هـ . لا . هـ . هـ . إشارة  
بقوله عليه السلام<sup>(١٣٤)</sup> : «سَقَى الْمُفْرَدُونَ الْمُسْهَرُونَ» . يذكر الله تعالى وضع الذكر  
عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ فَوَزَدُوا الْقِيَامَةَ خِفَافًا . هـ . إلى إشارة إلى أسم كانوا تح  
أزوار وضعها الذكر عنهم .

وأهل هذه الطبقة على وقت من حيث السور إلى الشهوات ، فمن قاتل  
سكت شهواته تحت قهر المعرفة ، ففتر برعها ، ولم يشغله عن السبوك  
صرعها . هـ . من لا يثبت من صراحة النفس . هـ . كنه من نكح ههنا ورده

(١٣١) النكه . الحق . فعل . نكح . ونكحه . هـ . هـ . عن . هـ . هـ . هـ .

(١٣٢) الرعاء : صوت البحر ، والعمام والصبح وكصف الرعد ، وبكاء الصبي المنهد ، والمقصود

العب .

(١٣٣) مرط سيق والفارط . هـ .

(١٣٤) حليث سيق للمفردون مسبه . هـ . يذكر الله . هـ . هـ . هـ . هـ . هـ . هـ .

وقد تقدم

ثم شهدت درجته شرح نصاً بكثرة وعنه واختلاف منه ،  
 واختلاف الألوخ وكذا من جنته من حيث قولهم من عصف يموت  
 قريباً من يومه ، بعد عن ذلك سلامه وموته قبل الفرة ، ومن ثم من صان  
 حبه وعمره ، ومما دلت عليه كبر حبه ، وحسن هداه ، وأفضل ،  
 إذ كفى سببه عجز تعجز حسنة ، حتى قد بعض العلماء ، إنه يكفر الذنب  
 الذي ارتكبه العاصي أن يسكن به عسر مرات ، مع صدق الشهوة ، ثم يصبر  
 عنه ، ويكسر شهوته خوفاً من الله تعالى . واشتراط هذا بعيد ، وإن كان  
 لا ينكر عظم أثره لو فرض . ولكن لا يسعى للمريد الضعيف أن يسلك هذا  
 عبرة ، فتبجح السببه ، وتحضر الأسباب حتى يتمكن ، ثم يطمع في  
 الاكتفاء ، فإنه لا يؤمن خروج عن الشهوة عن احتير ، فيقدم على  
 المعصية ، ويقص توبته . بل طريقها الفرار . من ابتداء أسبابه الميسرة له ، حتى  
 يسد طرقها على نفسه ، ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه . به  
 تسلم توبته في الإبتداء

### توبة ذي النفس اللوامة

الطبعة الثانية تأتت سلك طريق الاستقامة في أمهات الصاعات ، وترك  
 كابر الفواحش كلها ، إلا أنه ليس يفتك عن ذنوب تعتره ، لا عن عمد  
 وتجريد قصد ، ولكن يتلى بها في مجاري أحواله . من غير أن يقدم عزماً على  
 الإقدام عليها . ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف ، وجدد عزمه  
 على أن يتشمز للاحتراز من أسبابها لئلا تعرجه لها . وهذه النفس جديرة بأن  
 تكون هي النفس اللوامة ، إذ توم صاحب على ما تسبب من لأحوال  
 الذميمة ، لا عن أنصميم عزم وتحمي رأي وقصد . وهذه أيضاً رتبة عالية ، وإن  
 كانت نازلة عن الطبقة الأولى . وهي أغلب أحوال الثانيين . لأن الشر معجون  
 بطينة آدمي قلما يمتنع عنه ، وإنما غاية سعيه أن يعصب نفسه شره ، حتى يتصل  
 ميرانه ، فترجح كفة الحسرات فأما أب تخلق بالكلية كفة السيئات ، فذلك في

عنه بعد . وهؤلاء هم حسن الوجدان من الفاسق ، إذ من معاني الدين  
 يخسرون كابر الأثم والفواحش **إِلَّا اللَّحْمَ إِنَّكَ وَاسِعُ الْمُعْصِرَةِ** (١٣٨)

فكل من يقع بصعرة ، لا عن توطئ مقصد منه ، فهو حذر بل يكون من  
 سعة معفو عنه . قال تعالى **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**  
**ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ** (١٣٩) . فذكر عيبه مع ظنهم لأفهمه .  
 سألهم يومئذ أنفسهم عليه . بل من هذا إشارة بقول **عَلَيْكُمْ** ، فيما  
 روي عنه عن كرم الله وحيه (١٤٠) . **حِينَئِذٍ كَلَّ مُصْطَفَى ثَوْبٍ وَهُوَ حَرٌّ**  
**آخِرٌ ، الْمُؤْمِنُ كَالْحِيتَةِ يُغَيَّرُ أَخْيَانًا وَمِنْ أَخْيَانًا ، وَهُوَ الْحَرُّ** (١٤١) . ولا  
 بُدَّ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ ذَنْبٍ بِأَنَّهُ النَّيَّةُ بَعْدَ النَّيَّةِ . أي العين بعد العين

فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا يقص التوبة ، ولا يلحق صاحبها  
 بدرجة المصيرين . ومن يؤيس مثل هذا عن درجة الثانيين ، كالطبيب الذي يؤيس  
 الصحيح من دوام الصحة ، ثم يتناوبه من به كره والأصمعة لخبرة مرة بعد  
 أخرى . من غير مداومة واستمرار . وكذلك الذي يؤيس المتفقه عن نيل  
 درجة القضاء . بتناوبه عن التكرار والتعليل في أوقات فائدة غير متطاولة  
 ولا كثرة وذلك يدل على نقص الطبيب ونقصه بل الفقيه في الدين هو الذي  
 لا يؤيس الحق عن درجات السعدت ، . يتفق هم من مرات ومقارفة  
 استتت الخطيئات . قال النبي **مَنْ لَمْ يَخُشِ اللَّهَ لَخِطَايَاهُ كَخِطَايَاهُ** (١٤٢)

(١٣٨) التوبة . ٣٢  
 (١٣٩) (١٣٨)

(١٤٠) حديث على حكاية كل من قال في السبب من حديث  
 (١٤١) حديث من قال في السبب من حديث من قال في السبب من حديث  
 (١٤٢) حديث من قال في السبب من حديث من قال في السبب من حديث  
 (١٤٣) حديث من قال في السبب من حديث من قال في السبب من حديث  
 من حديث من قال في السبب من حديث من قال في السبب من حديث





أحقيقه، وأمره في مثبته الله، فإن ختمه بالسوء على شقوة لا آخر له، وإن  
 حتم له بالخير حتى مات على الوحيد فينتظر له الخلاص من الدروب بعد  
 حين ولا يستحيل أن يشمه عموم نعيم بسبب حتى لا يصع عليه، كما  
 لا يستحيل أن يدخل الإنسان ناراً ليحذر كراً فينتق أن يحذر، وإن يجس في  
 بيت ليحبه الله تعالى نعيم من غير علم كما كان الأبناء صوت الله عليهم.  
 فطلب للمعرفة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار، وطلب المال بالتجارة  
 وركوب البحار. وطلبها بمجرد لو جاء مع خراب الأعمال، كطلب الكنوز  
 في المواضع الخربة. وصب العلوم من نعيم ملائكة. وليت من اجتهد نعيم،  
 وليت من اتقى استقى، وليت من صام وصل غفر له. فالناس كلهم محرومون  
 إلا العالمون، والعالمون كلهم محرومون إلا العاصون، والعاصون كلهم محرومون  
 إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.

وكأن من خرب بينه وبين ماله، وترك نفسه وعياله جميعاً، يزعم أنه  
 ينتظر فضل الله بأن يرزقه كثيراً يحل تحت الأرض في بيته الخرب، بعد جند  
 قوى البصائر من الخفي والمرورين، وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في  
 قلوب الله تعالى وفضله، فكذلك من ينتظر المعرفة من فضل الله تعالى وهو  
 مقصر عن الطاعة، مقصر على الدروب، غير سالك سبيل المعرفة، بعد عند  
 أبواب القلوب من المعشويين.

والصجب من عقل هذا المعشوي، وبروحه حماقه في صيغة حسه، إذ يقول:  
 إن الله كريم، وجنته ليست نصيب على مثل، وممصبي ليست نظره. ثم تراه  
 يركب البحار، ويفتح الأوعار في طلب الدنار، وإذا قيل له إن الله كريم،  
 ودنانير خرائقه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس بفرك،  
 فاجلس في بيتك معاه برزقت من حيث لا تحسب يستحق قائم هذا الكلام  
 ويستزى به، ويقول: ما هذا المومن؟ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة،  
 وإنما ينال ذلك بالكسب، هكذا قلته مسبب الأسباب، وأجرى به منه،  
 ولا تدل لسة الله. ولا يعلم الممرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن

س لا تدل ما فيها جميعاً، وقته قد أحرق في قول ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا  
 مَا سَعَى﴾ فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا  
 وكيف يقول ليس مقصي الكريم المتور عن كسب المال، ومقتصد الفتور،  
 عن العمل بسبب انقباضه وسعيه لحالم، وأن من يحكم الكرم يعصيه عن غير  
 جهد في الآخرة، وقد يبعد مع شدة الاجتهاد في عالم الأمر في الدنيا  
 ويسعى فيه تعالى ﴿رَغْمِي السَّيِّئُ رَزَقَكُمْ رُبَّهُ وَعَدُون﴾

فعود الله من نعيم وانفصالهما من بلا انكسار على أم الرأس،  
 وانعكاس في صلات حبل وصاحب هـ. سير بأن يكون دحلاً تحت قوه  
 تعالى ﴿وَلَوْ لَرَى إِذْ الْمُتَعَرِّفُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا  
 وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ أي أهدت لك صلتك إذ فتت ﴿وَأَنْ  
 لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ في رجعاً عن وعدك لا يمكن من  
 الانقلاب، ونفق عليه المسبب: فعود الله من دواعي الجهل والشك  
 والارتباب السائق بالضرورة إلى سوء القلب والمآب.



(١٢٥) سج ٢٩

(١٢٥) سج ٢٩

(١٢٥) سج ٢٩



إلا الكبار .

فعل الأحوال كلها ، يبقى أن نحاسب نفسه كل يوم ، ونجمع منه ،  
و نعيد في دعائها بالحيات .

في هذا فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الإصرار ، وفي  
غيره <sup>١٥٦</sup> المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستغفر بآيات الله ،  
وكان بعضهم يقول : استغفر الله من قولي استغفر الله . وقيل : الاستغفار  
سبب توبه الكبار . وفي رابعة المتوبة : استغفروا يحتاج إلى استغفار  
كثير

### استغفار العبد أمان له

واعلم : أنه قد ورد في فصل الاستغفار أخبار خارجة عن المحصر ، ذكرناها  
في كتاب الأدكار والدعوات ، حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول ﷺ ،  
فقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ  
يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ <sup>١٥٧</sup> فكان بعض الصحابة <sup>١٥٨</sup> يقول : كان لنا أمان ، ذهب  
أحدهم . وهو كونه رسول الله ، وبقي الاستغفار مع غيره ذهب هنك  
فقول :

الاستغفار الذي هو توبه نكح من ، هو الاستغفار بمجرد النسيان ، من غير  
أن يكون لقلب فيه شركه . كما يقول الإمام بحكم العادة وعن رأس المعتزلة  
استغفر الله . وكما يقول بدائع صفة البر . يعود بالله من غير أن يثرب به

(١٥٦) حديث المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستغفر بآيات الله : ابن أبي الدنيا في البرقة من  
طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ كالمستغفر بآية وسنده صحيح

(١٥٧) الأنعام : ٣٣

(١٥٨) حديث بعض الصحابة في قوله تعالى وما كان الله لمعذبهم وأنت فيهم الآية كان لنا أمان ذهب  
أحدهم أحمد من قول ابن عباس لا بد من حديثه أن الله على أمان . حديث  
وسنده وابن مرفعه في مسنده من قول ابن عباس

قلبه . وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان لا حدود له . وقد ورد  
إليه تصرع القلب إلى الله تعالى . وابتدأه في سؤال معتبره ، عن صدق عودة  
وخلوص توبة ورغبة ، فهذه حسنة في نفسه . فتصالح لأن يدفع بها نفسه  
وعلى هذا تحسن الأخبار الواردة في فضل استغفار حتى قال ﷺ <sup>١٥٩</sup>  
أصغر من استغفر ولو عاد في اليوم مئتين مرة . وهذا عذرة عن الاستغفار  
بالقلب . وللتوبة والاستغفار درجات . وإنه لا خير عن التوبة وإنه  
إلى أواخرها . ولدت قل ميل . لأنه من كل حال من مولاه . فحسن  
أحواله أن يرجع إليه كل شيء : فإن عصى الله بامر عني . فقد فرغ من  
معصية قل يارب تب علي فبدلت قل رب رزقي نعصمه وبد غير  
قل يارب تب علي

ومثل أيضا عن الاستغفار الذي يكسب من الله نور الاستغفار  
لاستحبابه ، ثم لإزالة ثم توبة . علامه . حسن جورج . وإزالة حسن  
العقوب . ولو رفته عن مولاه . بأن حسن ثم يستغفر الله من معصيته  
التي هو فيه . ومن أجل نسيان ورث . من بعد ذلك يعمر به ، ويكون  
عده مأواه . ثم سئل عن الاستغفار . ثم . ثم السب . ثم شكر ثم معرفة .  
ثم مباحة . ثم معذرة . ثم لا توبة . وهو الحق . لا يستغفر  
في قلبه حتى يكون له عذرة . وهو . فومه . وثرب ردد . ولو كل  
صحة . ثم يصير الله إليه ، فرفعه من العرش . يكون مقدمه من جهة العرش

ومثل أيضا عن قوله ﷺ والثالث حب الله . فإن لم يكن حيا بد  
كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى في التائب . لعبدون ﴿ الآية . وهو  
حبيب هو الذي لا يدعي فيه يكرهه حب

(١٥٩) حديث ما أخر من استغفر . تخطيت . ظلم في ردد  
١٠١ توبة ١٢

## ثمره التوبة

والمتعود أن للتوبة مرتبتين إحداهما مكفر سيئ، حتى يصير كمن لا ديب له والدية من الدرجات، حتى يصير حسناً لا شك في أيضاً درجات فيعصيه نحو لأصل باب بالكنية، وعصيه حجب له ويتصوت ذلك بھاوت درجات التوبة، فالاستغفار بالقلب، والتدارك بالحسنة، وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات؛ فليس يخلو عن العائنه أصلاً فلا يسعى أن تشر أن وجودها كعدمها، بل عرف أهل المشاهدة وروايات الصواب معرفة لا ريب فيها، أن قول الله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ صدق وأنه لا خير درة من خير عن ثمره، كما لا خير شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو علت الشعيرة الأولى عن أثر؛ لكنت الثانية منها، ولكن لا يرجح الميزان بأحوال الدرجات، وذلك بالضرورة محال، بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير إلى أن يثقل فترفع كلمة لسيئات، فإذ أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها، وذرات المعاصي فلا تنفيها كالماء الخرقاء، فكسل عن العزل تعللاً بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول: أي غنى يحصل بخيط، وما وقع ذلك في الثياب؟ ولا تدري المعتوه أن ثوب الدنيا اجتمعت بخيطاً خيطاً، وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت درة درة

فقد انضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيق عند الله أصلاً، بل أقول الاستغفار باللسان أيضاً حسنة، إذ حركة اللسان بها عن غفلة غير من حركة اللسان في تلك الساعة يعينة مسلم، أو فصول كلام، بل هو خير من السكوت عنه، فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه، وإنما يكون نقصاناً بالإضافة إلى عمل القلب، ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي: إن

المرئيات ٧

لساني في بعض الأحوال يجرى بالذكر والقرآن، متى عامل، فقال: اشكر الله إذا استعمل جارحة من جوارحك في الخير، وما ذكره حق، فإن جود الجوارح للخيرات حتى الشر ولم يعود الفضول، وما ذكره حق، فإن جود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع، يدفع جملة من المعاصي، فمن تعود سانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذباً سبق لسانه إلى ما يوعده من استغفار الله، ومن تعود الفضول، سبق لسانه إلى قول: ما أحقك، ما أفصح كذبت! ومن تعود الاستمادة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من ر، قل بحكم سبق اللسان يعود بالله، وقد تعود الفضول قد: لغة الله في إحدى كلمتين ويسمى في الأخرى وسلامه أثر عبد لسانه خير وهو من حسنة معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَمْرَ الْمُخْسِرِينَ﴾، معنى قوله تعالى ﴿وَبِذَلِكَ جَاءَتْ نَصَافُهَا وَبُذْتُ مِنْ لَدُنْهُ أُخْرًا عَظِيمًا﴾، دبر كيف صدمت إذ حسن الاستغفار في المغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر المعاصي بالعينة والنفس والفضول، هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات، وتضعيف الآخرة أكبر لو كان يعلمون.

فإنك وأن تلمح في الصاعات مجرد الآفات، فتعتر وغيتك عن لبيادات، فب هذه مكيدة روجها ليشغل بلسه عن المعريين، وحسن إنهم هم رب البصائر، وأهل التفطن للخفايا والسرائر، فأى خير في ذكرنا باللسان مع عملة القلب، فانقسم الخلق في هذه للمكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات.

أما السابق: فقد صدقت بما يقول، ولكن هي كلمة حتى أردت بها بطلاً، فلا حرم أعدك مرتين، وأرغم نفسك من وجهين، فأصيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالدي دلوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه.

(١٦٦) التوبة ١٢

(١٦٧) الساء ٤٠

وأما الظالم المعرور، فاستشعر في نفسه عيلاء القطعة لهذه الدققة، ثم عجز عن الإخلاص بالقلب، فترك مع ذلك تمويده للسيد بالذكر، فأسعف الشيطان، وتبدل بحبل غروره، فثبت بينهما المشاركة والموافقة. كما قيل: وافق شين طقه، وافقه فاعتقه.

وأما المقتصد، فلم يقصر على إرغامه بإشراك القلب في العمل، وتمطى لقصان حركة النفس بالإضافة إلى القلب. ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول، فاستمر عليه، وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع السيد في اعتياد الخير.

فكان السابق كالخائف الذي ذمت حياته فتركها وأصبح كاتباً. والظالم المختلف كالذي ترك الحياة أصلاً وأصبح كئاساً. والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة لا بالإضافة إلى الكساس. فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياة ولذلك قالت رابعة العدوية استغفرونا محتاج إلى استعارة كثير فلا تظن أنها تترك حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله، بل تترك عملة القلب وهو محاج إلى الاستعارة من عملة قلبه لا من حركته بساها. وفي مكت عن الاستعارة باللسان أيضاً. محتاج إلى استعارة لا إلى استعارة واحد.

فهي كما ينبغي أن تهم دم ما يدم، وحمد ما يحمد، وإلا جيلت معنى ما قال المقاتل الصادق: حسنت الأبرار سيئت بتفريير. وفي هذه أمور كتبت بالإضافة، فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة. بل ينبغي أن لا تسحق درات الطاعات والمعاصي. ولذلك قال جعفر الصادق: إن الله تعالى ثلثاً في ثلاث: رضاه في طاعته، فلا تحقروا منها شيئاً، فاعل رضاه فيه. وغضبه في معاصيه، فلا تحقروا منها شيئاً، فاعل غضبه فيه. وحجاً ولاءه في عباده، فلا تحقروا منهم أحداً، فنعمة ولي الله تعالى. وراود وحاً إجابته في دعائه، فلا تحركوا الدهاء، وربما كانت الإجابة فيه.

## الركن الرابع

في دواء التوبة، وطريق العلاج  
لحل عقدة الإصرار

- تمهيد.
- طلب العلماء أول علاج العاصي وهو الركن الأول.
- الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار.
- الركن الثاني في العلاج: الصبر.
- أسباب الوقوع في الذنوب.
- علاج الأسباب الموجبة للإصرار.



### تمهيد

عنه أن الناس قسما :

القسم الأول : من لا صورة له ، مثله على بحر واجب نشر ، وهو الذي قد فيه رسول الله ﷺ ، فثعبان من ثياب ليست له صورة ، وهذا غير نادر

والقسم الثاني : هو الذي لا يخرج عن مقاربه ، مثله على نفسه ينقسم إلى مضرين وبين تضرير وعرضه أن بين العلاج في حل عقدة لإصرار ، وبسكر الدواء فيه

فاعلم أن شعاع التوبة لا يحصل إلا بالدواء ، ولا يقف على الدواء من لا يقف على الماء إذ لا معنى للدواء إلا ما لفتة سبب الماء ، فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ، ورفع ، وبطلان ، ولا يقف شيء إلا بصله ، ولا سبب لإصرار إلا العلة والشهوة ، ولا يصاد لعنه إلا انعم ، ولا يصاد شهوة إلا صبر على دفع الأسباب بحركة شهوة ، وعقبة رأس الخطايا ، قال تعالى ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ لا جرم أنهم في الآخرة هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿ ١٦٥ ﴾ فلا دواء إذ لشهوة إلا معصية ، فبعض من خلاوة انعم ، وحرارة الصبر ، وكما يجمع المكنونين ﴿ ١٦٦ ﴾ بين خلاوة السكر وخموصة حل ، ويقصد بكن مهما عرض آخر في العلاج مجموعهما ، ويقمع الأسباب

(١٦٤) حديث يعجب بك من الشعب يستدعيه صوته ، حد وأخبرني من حديث عليه السلام عليه

من فقه

د بسم الله صمد أي من في هوى

(١٦٩) عبط من الصل وحق

(١٦٥) الحل ١٩٠١٨

الهيئة للصبر ، فهكذا ينبغي أن يتقن علاج القلب مما به من مرض  
الإصرار .

بدأت بدواء الصلابة ثم دواء القلب ، وآخر الصبر ولا بد من  
يأتيه .



## الفصل الأول

### طب العلماء

### أول علاج العاصين والأصل الأول

وبن قسنت يفتح كل علم للحق الإصرار أم لا بد من علم مخصوص ؟ . فاعلم أن  
عمود حبيب نوره لأمر من عيوب . ولكن من مرض علم بخصه . كما أن  
علم صديق في علاج لأمر من عيب . ولكن يخص كل علة علم  
مخصوص . فكذلك دواء لإصرار . فذكر . . . . . ذلك العلم على مدار  
مرض لأمر . يكون قرب من عيبه فتن .

### الإيمان بأصل الشرع

يحتاج المريض إلى تصديق بأمور

الأول : أن يصدق على الجملة بأن للمرض دواء . . . . .  
بالاختيار ، على رتبة مسبب الأسباب ، وهذا هو الإيمان بأصل الطب . يجب  
من لا يؤمن به لا يسعنا علاج . . . . .  
لأن أصل الشرع وهو أن سعادة في آخره . . . . .  
س هو انعقب . وهذا هو أصل الشرع . . . . .  
عن شخص أو عقيد . . . . .



الثاني : أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب . حدد  
فيه : صادق فيما يعبر عنه ، لا يأس ولا يكذب . فإن إتيانه بأهل الطب  
ينمعه بمجرد دون هذا الإيمان . ووارثه بما لحق فيه ، العلم بصدق الرسول  
ﷺ ، والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق ، لا كذب فيه ، لا حسب

### الإصغاء إلى وعد الله وتحذيره

الثالث : أنه لا بد أن يصغى إلى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه  
والأسباب المصرة على الجملة ، حتى يعذب عليه الخوف في ترك الاحتكامه  
سدة الخوف باعثة له على الاحتواء ووزانه من الدين الإصغاء إلى الآيات والأخبار  
المستتمة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع  
المغوى ، والتصديق بجميع ما يقى إلى صمعه من ذلك ، من غير شك  
واسترافة<sup>(١٦٧)</sup> ، حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر ، الذي هو الركن  
الآخر في العلاج .

### طلب العلم ونشره

الرابع : أن يصغى إلى الطبيب فيما يخص مرضه ، وفيما يترمه في نفسه  
الاحتواء عنه ، ليعرفه أو لا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ، وما كونه  
ومشروبه . فيس على كل مريض الاحتواء عن كل شيء ، ولا ينفعه كل دواء .  
بل لكل حلة خاصة علم خاص ، وعلاج خاص ، ووزانه من الدين أن كل عبد  
قليس يتلى بكل شهوة ، وارتكاب كل ذنب ، بل لكل مؤمن ذنب

(١٦٧) الاسترافة : الزمور والرهبة

مخصص ، له ديوب مخصوصة ، في حاجته : حين مرهقه من التعب ،  
ديوب ، ثم في التعب بدو ، وفيه ضيرها ، ثم في علم كيفية لتوصل إلى  
أصبر عب ، ثم إلى علم كيفية كسر ما سبب فيه هذه عذره يختص بها  
أخصه من . وهذه العدة ليس هي . لأنه لا يملك ما يملك إلى علم عصفاه فعليه  
طلب العلاج من طبيب ، وهذا نعم . ولا يرى أن ما يرتكبه  
دب ، فعلى عب أن يعرفه ذلك . حيث بأن يحسن كل عالم بإقليم أو بلدة ،  
أو حلة ، أو مسجد ، أو مشيد فيعلم أهله دسم ، ويغير ما يضرهم عما  
ينفعهم ، وما يشقيهم عما يسعدهم . ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه .  
بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى الله . بهم ورقة الأبياء ، والأنبياء  
ما تركوا الناس على حيلهم ، بل أثار يدورهم . بجمعهم ، ويدرون على  
أب دوعه في الله . ويصلون واحد واحد في شربهم ، فإن قرصي  
القلوب لا يعرفون مرضهم . كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مره  
معه ، لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره . وقد مرض عبي عن العلماء  
كافة (١٦٨) .

وعلى أسلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل حمة طبيباً متديناً ، يعلم  
نفس ديهيم من الخلق لا يؤمنون إلا به . فلا من يبيع الدعوة بهم في  
الأصل والفرع . والدنيا دار مرضى . لا ليس في نفس الأرض ولا ميت ،  
ولا على ظهرها إلا مستحب . ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان . والعصفاء  
أطباء ، والبسلاطين قوام دار المرض . فكل من مرض لم يقبل العلاج بمداوة  
العالم ، يسلم إلى السلطان ليكتب بشره ، كما نسب الطبيب المريض الذي  
لا يحصى ، أو الذي غلب عليه الجبن ، أو القيم ليقده بسلاسل  
والأغلال ، ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس .

### أكثرية مرض القلوب على مرض الأبدان

وأي صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان كذا جليل :

(١٦٨) إن دم به واحد مبد لا يستغنى عن الآخر

إحدهما : أن المريض به لا يدري أنه مريض

والثانية : أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم . بخلاف مرض البدن ، فإن عاقبته موت مشاهد ، تنفر الطباع منه . وما بعد الموت غير مشاهد . وعاقبة الدنوب موت القلب ، وهو غير مشاهد في هذا العالم . فثبت أنفرد عن الدنوب وإن علمها مريضها ، فثبت أنه يرى على نصر الله في مرض القلب ، ويجب في علاج مرض القلب من غير تكبر

والثالثة : وهو الداء المعصل فقد أصيب . من الأصء هم بعضاء ، وقد مرضوا في هذه الأعصار<sup>١٦٩</sup> امراضاً شديداً عجزوا عن علاجه ، وصارت لهم سوسة في عموم المرض حتى لا يظهر بقعهاهم فاصطبروا إلى سوء الخلق ، وإبشاره عليهم بما يريدهم مرضاً . لأن سوء الخلق هو حب الدنيا وقد عيب هذا الداء على الأطباء ، فلم يقدروا على تخدير الخلق منه ، استكفاهم من أن يبالوا به . فمما بالكتم تأمرون بالعلاج وسوسون بفسادكم ؟ فيه انصب عم على الخلق الداء وعظم الوباء ، وانقطع الدواء ، وهلك الخلق لقد الأطباء . بل اشتغل الأصء بعون الإغواء ، فليتيم إدء بصحوا لم يعيشوا ، وإذا لم يصلحوا لم يُصلحوا . وليتهم سكبوا وما نطقوا . فإنهم إذا تكلموا لم يسمهم في مواعظهم إلا ما يربع القوم ، ويستعمل قلوبهم . ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء ، وتعييب أسباب الرجاء ، وذكر دلائل الرحمة ، لأن ذلك الذي في الاجتماع ، وأخف على الطباع . فتصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد حرة على بعضى ، ومريد ثقة بعض الله . ومهما كان الطبيب جاهلاً أو حاكماً ، أهلك بالدواء حيث يصعبه في غير موضعه ، فالرجاء والخوف دواءان ، ولكن لشخصين متضادين العنة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية ، وكلف نفسه ما لا تطيق ، وضيق العيش على نفسه بالكلية ، فكسر سورة إسرائه في الخوف بذكر أسباب الرجاء ، ليعود إلى الاعتدال .

(١٦٩) جمع عصر ، وهو الزمر

وكذلك نصرت على الدنوب ، نشأتى نبوة ، تمتع بها بحكم القدر  
وأسس استعداداً لدنوبه التي ستبوء ، يعطي أيدى بأسباب الرجاء ، حتى يصح في قلوب شوبه فيتوب  
فما مدحة المعروف المنبرج في بعضى بذكر أسباب الرجاء ، وما هي معاناة المحرور بغير صفة متناه . وحدث من ذلك بعضى ولأعضاء وقد سدد لأصء هي العصاة الداء . شئ لا تفعل منه أصلاً .

### طريق الوعظ

فإن قلت : وذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في صريف الوعظ مع الخلق . فاعلم أن ذلك يعجز ولا يمكن استقصاءه .  
نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار ، وهي الداء على ترك الدنوب . وهي أربعة أنواع .



(١٧٠) من الدواهي بشديدة . كما في القاموس



## المجلد الثاني

### الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار

#### ذكر الآيات والأخبار المحفوفة

الأول : أن يذكر ما في القرآن من الآيات المحفوفة للمسلمين والعاصين ، وكما ورد من الأحاديث والآثار من مروي عن النبي ﷺ ، ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتحاوران بأربعة أصوات يقول أحدهم باليت هذا المخلوق لم يخلقوا ويقول الآخر باليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا يقول الآخر باليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا علموا بما علموا ، وفي بعض الروايات : ليتهم تجالسوا فتذاكروا فاعلموا ويقول الآخر باليتهم إذ لم يعلموا بما علموا فذاكروا بما علموا .

وقال بعض السلف : إذا أدب العبد ، أمر صاحب البيت صاحب السمال وهو أمر عليه أن يرفع انظم عنه ست ساعات ، فإن لم يستغفر كتبها : وإن لم يستغفر كتبها : وقال بعض السلف : ما من عبد يعصى إلا استأذن مكنه من الأرض أن يحسب به ، واستأذن سقاه من السماء أن يسقط عليه كسفاً . يقول الله تعالى للأرض والسماء : كفا عن عهدي

(١٧١) حديث ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتحاوران بأربعة أصوات يقول أحدهم باليت هذا المخلوق لم يخلقوا ويقول الآخر باليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا يقول الآخر باليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا علموا بما علموا فذاكروا بما علموا .

(١٧٢) جمع كسفة وهي القطعة ،

وأمهلاه وإكمام تحلقه ولو خشيته لرحمناه . رحمه يتوب إلى فأعمر له ولعله يستبدل صالحاً فأبدله له حسات . معنى قوله تعالى ﴿ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا بَلْ أُنْصِفَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمَا بَعْدَ ١٧٣ ﴾

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الطابع معني بقائمة العرش إذا انتهكت الخزائن وشحلت المم ، وأمر الله الطابع فطبع على القلوب بما فيها ، وفي حديث محمد : القلوب مثل الكف المفتوحة كلما أذهب الغند دنا القبح أضحى حتى تنبض الأصابع كلها فبسط على القلب فذلك هو الطبع . وقال الحسن : إن بين العبد وبين الله حد من المعاصي معبود ، إذ بينه عبد طبع الله على قلبه ، فلم يوفق بعد هذا خير

والأخبار والآثار في دم النعاسي ومدح التائبين لا تحصى . فينبغي أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله ﷺ ، فإنه ما حلف دياراً ولا درهماً ، إنما خلف العلم والحكمة ، وورثه كل عالم يقدر ما أصابه .



(١٧٣) فاطر : ٤١٠ .

(١٧٤) حديث عمر الطابع مطلق بقائمة من مروي العرش إذا شحلت الخزائن . الحديث مروي عن

روى عنه في المصنف من حديث عمر وهو مروي

(١٧٥) حديث محمد : قلب مثل الكف شحلت شحلت قلبه فطبع على القلوب بما فيها . وفي حديث محمد : كفا عن عهدي

قول جماعة وكذا ذكره المفسرون من قوله : ليس بمرجع دهره ، بل شعب إيمان للبيوع من قوله

حديثه

(١٧٦) حديث أنه ﷺ ما حلف دهر ولا درهماً ، بل شعب إيمان للبيوع من قوله

عمر بن الخطاب : ما من عبد طبع الله على قلبه ، فلم يوفق بعد هذا خير

حديث عائشة ما من عبد طبع الله على قلبه ، فلم يوفق بعد هذا خير

دياراً ولا درهماً ، إنما خلف العلم والحكمة ، وورثه كل عالم يقدر ما أصابه

## ذكر حكايات ذنوب الأنبياء والأولياء

النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين ، ومن جرى عليهم من الأهالك بسبب ذنوبهم ، فذلك شديد الوقع ظاهر البقع في قلوب الخلق

مثل أحوال آدم عليه السلام في عصائه ، ومن ثقبه من الإخراج من الجنة ، حتى روى أنه لما أكل من الشجرة صيرب سجن<sup>(١٧٧)</sup> عن حسنة وبنات عورته ، فحبس - ح - ولاكليل من وجهه أن يرتفعاً عنه ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فحذ التاج عن رأسه ، وحل الإكليل عن جبينه ، ونودي من فوق العرش : ليطا من جوارى فإنه لا يجاورني من عصائي . فلما فتحت آدم إلى حواء باكياً وقال : هذا أول شؤم المعصية ، أخرجنا من جوار الحبيب .

وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام ، لما عوقب عن حبس لأجل احتمال الذي عهد في داره أربعين يوماً ، وقيل لأن المرأة سأله أن يحكم لأبيها قال نعم ولم يفعل . وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لكانها منه ، فسلب منه أربعين يوماً ، فهرب تائها على وجهه . فكان يسأل بكفه فلا يظلم . فإذا قال أطعموني فإني سليمان بن داود شج ، وطرد ، وضرب ، وحكى أنه استطعم من بيت لامرأته مطردته وبصقت في وجهه . وفي رواية أخرجت عحوز جرة فيها بول فضته على رأسه ، إلى أن أخرج الله الخاتم من بطن الخوت ، فلبسه بعد انقضاء الأربعين : أيام العقوبة . قد فجاءت فطبور فمكمت على رأسه ، وجذبت الجلس واسياتين والوحوش فاحسنت حوله . فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه ، فقول لا ألومكم بيد معتم من قبل ، ولا أحمكم في علوكم الآن . إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه .

(١٧٧) حلال جمع حلة ، وهي الملابس التي يحل بها الإنسان ويستر .

وروى في ١٧٨ حديث أن رجلاً تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل إليه ليحسب إليه . فمأودته بمسة وحالت بها ، فحدهد واستعصه . قال لله الله ببركة تقواه ، فكان بها في بني إسرائيل . وفي بعض موسى عنه سلام ، أنه قال للحظير عليه السلام . لم أطمعك الله على عه العيب ؟ قال بترك المعاصي لأجل الله تعالى

وروى أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام ، فطر إلى قميص نظرة ، وكان جديلاً ، فكانه أعجبه . قال فوصحه الريح . فقال لم فعلت هذا ولم آمرك ؟ قالت : إني بطيئت إذا أطمعت الله

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام ، أتدري ما فرقت بين وبين ولدك يوسف ؟ قال : لا . قال : قولك إخوته تخاف أن يأكله الدئب وأنتم عنه غاصون لم خفت عليه الدئب ولم تترأسوا<sup>(١٧٩)</sup> . ومن صرت من عفة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له ؟ لو تدري لم رددته حيث ؟ قال : لا . قال : لأنك رجوتني وقت : ﴿ غشي الله أن يأتيهم جميعاً ﴾<sup>(١٨٠)</sup> وبما قلت : ﴿ اذهبوا فتحسروا من يوسف وأخيه ولا تأسوا ﴾<sup>(١٨١)</sup> وكذلك لما قال يوسف لصاحب نكت . ﴿ اذكرني عند ربك ﴾<sup>(١٨٢)</sup> قال الله تعالى : ﴿ فأنساه الشيطان ذكره فلبيث في السجن بضع سنين ﴾<sup>(١٨٣)</sup> . ومن هذه الحكايات لا تنحصر . ولم يرد بها القرب والأخبار ورود الأخبار . بل الغرض من الاعتبار والاستبصار ، لتعلم أن لآباء عبيد السلام من يتجاوز عن الذنوب الصغيرة ، وكيف يتجاوز عن غفيرة في الذنوب الكبرى ! نعم كانت سعادتهم في أن عوجنوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة . والأشقياء يهلون ليردادوا ثمناً ، ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فهذا أيضاً مما ينبغي أن يكون جسده على ألسنة المصيرين ، فإنه نافع في تحريث ذوي النية

(١٧٩) يوسف : ٨٧

(١٨١) يوسف : ٤٣

(١٧٨) يوسف : ٨٣

(١٨٠) يوسف : ٤٧

### ذكر تعجيل عقوبة الذنوب في الدنيا

النوع الثالث : أن يقرر عدهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الدواب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جنائنه . فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ، ويتعاف من عقوبة الله في الدنيا أكثراً لفرط جهوله . ينبغي أن يخوف به . فإن الدواب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر . كما حكى في قصي داود وسيمان عليهما السلام . حتى أن قد يظيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه . وقد تسقط صرته من القنوب ويستولى عليه أعداؤه . قال عليه السلام (١٨٧) « إِنْ أَلْبَدَ لِيَحْرَمَ الرِّزْقُ بِالدُّنْبِ يُحِبُّهُ » وقد ابر محمود بن لأحسب أن لعبد يسيئ نعم الله عليه بسبب ذنوبه وهو معي قوله عبه السلام (١٨٨) « مَنْ قَارَفَ دُنْباً فَارَقَهُ عَقْلٌ لَا يَهْدِيهِ إِلَيْهِ أَبَدًا » وقد بعض السلف : ليست اللعة مولداً في الوجه ، ونقصاً في المال ، إنما اللعة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شرمته ، وهو كما قل . لأن اللعة هي الطرد والإبعاد . فإذا لم يوفق للخير ، وبقر له الشر فقد أبعد . والحرامان عن رزق التوفيق أعظم حرامان . وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف ، فيحرم العبد به عن رزقه المدفع من مجالسة العلماء المتكبرين للذنوب ، ومن مجالسة الصالحين . بل يمقت الله تعالى لممته الصالحون . وحكي عن بعض العارفين أنه كان يمشي في الوحل جامعاً ثيابه ، محترقاً زلفته رجله ، حتى زلقت رجله وسقط . فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويكي ويقول : هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويجانبها ، حتى يقع في ذنب ودين ، فعندما يخوض في الذنوب خوضاً . وهو إشارة إلى أن الذنب تتعجل عقوبته فلا يجترأ إلى ذنب آخر . ولذلك قال الفضيل : ما أنكرت من تغفر الزمان وجهاء الإخوان ،

(١٨٢) حديث إلى العهد لعمرم الررف بالنصب بضمه . لمي ماجة واحكام وصحيح السناده واللفظ له إلا أنه قال الرجل بهذا العهد من حديث تو بيان .

(١٨٢) حيث من قلوب دباً فارقه عشق لا يعود إليه أبداً : قدیم

مديونك ورثت ذلك . وقد مضى بهم : إلى آخر عقوبة التي في سوء خلق  
جاري وقد آخر أعرف العقوبة حتى في قر يبي . وقال بعض صوفية  
العلم . نظرت إلى غلام يصرى حسن لوجه . فقلت : نصبر إليه ، فعز في ابن  
العلم . دمشق ، وأخذ سائر فمحتج . فقلت : يا أبا عبد الله ، سبحان  
الله تعجب من هذه صورة حجة ، وهذه الصفة غفلة ، كيف خفت  
سار فعمري يذوق . سجدت عقوبة من حين قبل فعمرت بها بعد  
ثلاثين سنة . وقد يؤمى . سار . علم عقوبة . وقد لا يفت  
"حدا" صلاة جمعة إلا يذوق . وقد . ما أنكرتم من زماكم  
فما غيرتم من أعمالكم . وقد . يقول الله تعالى : إن أذن ما أصغ  
بالعلم . إن أثر شهوته على صفتي أن آخره . يد صاحتي ،

وَحَكَمِي عَنْ أَبِي سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ فِيهَا كَيْتُ  
ثَلَاثَةَ يَوْمٍ أَصْبَرْتُ ، وَحَدَّثْتُ قَوْمًا هِيَ صَوْنُهُ بِفِكْرِي ، حَتَّى نَوَيْتُ مِنْهُ  
شَهَادَةَ الرَّجُلِ . فَوَقَعْتُ فِي الْأَرْضِ ، وَوَسَّوْتُ حَسْبِي كَيْتُ ، وَاسْتَرَيْتُ فِي  
بَيْتٍ ، فَمِمَّ أُخْرِجُ ثَلَاثَةَ يَوْمٍ . وَكَانَتْ أَعْيُنُ عَيْسَى فِي حِمَامٍ مُصَابِيحٍ ، فَلَا  
يَرُدُّ إِلَّا سَوْدًا ، حَتَّى انْكَسَبَ بَعْدَ ثَلَاثٍ مَمَيَّتٍ الْعَبْدُ ، وَكَانَ قَدْ وَجَّهَ إِلَى  
فَأُشْحَفِي مِنْ رَأْفَةِ رَحْمَتِهِ . قَالَ لِي أَمْرٌ مَحْبُوبٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ؟ كَيْتُ  
ثَلَاثَةَ يَوْمٍ بِدِيهِ ، فَذَرَيْتُ ثَلَاثَةَ شَهَادَةٍ حَتَّى اسْتَوَيْتُ عَيْتِي بِرَفْعَةٍ وَخَرَجْتُ  
مِنْ بَيْتِي بِدَى اللَّهِ تَعَالَى ؟ فَبَدَأْتُ دَعْوَتِي قَدْ كُنْتُ ، وَنُتِ بِدِي عَيْتُ ، لَبَقْتُ  
اللَّهُ بِذَلِكَ اللَّوْنِ . قَالَ فَصَحْتُ كَيْفَ عَمَّ بَدَنُكَ وَهُوَ بَعْدُ وَأَنْ بَارَقَ  
وَعَمَّ أَنَّهُ لَا يَدُبُّ الْعَبْدَ - أَوْ إِلَّا وَيَسُودُ وَجْهَ قَلْبِهِ . فَإِنْ كَانَ مُعِينًا أَظْهَرَ  
السَّوَادَ عَلَى ظَهْرِهِ أَوْ جَرَّ . وَإِنْ كَانَ شَقِيحًا أَخْبَى عَنْهُ حَتَّى يَنْهَكَ وَيَسْتَوْجِبُ

(١٨٤) حديث ما أنكرته من مثلك في أنكرتم من أصلكم ؛ لئلا يفي ل الزهد من حديث أبي البرداء  
وقال غريبه فترد به عند حمى وهو حديث من هات - قلت من منهم بالكذب قال أبا حامد روى  
من أبيه أحدث بواسطه -

عن أبيه أحاديث كثيرة -  
(١٨٥) حيث يقول لثي إن قتل ما تصنع والله إذا قر شهوده على طاعته أن أحرمه الله ما جال  
عريب لم يجهده

سر . وأحضر كثيره في آفات تدور في قلب ، من الفقر ، والحرص وعجزه . بل من شؤم تدب في قلب على أحسنه أن يكسب ما بعده صفة . فإن بلى شيء كان عقوبة له ، ويخرجه من لرق ، حتى يصاعف شقوة . وقد أصابه نعمة كانت استمر حاته ، وجره حمل ، يشكر حتى يعاقب على كثرته . ولم يصح ، فمن بركة طعنه أن يكون كل نعمة في حقه حراء على صاعه ، ويؤثر شكره . وكل منه كدرة لديه ، زيادة في ربحاته .

### ذكر حدود الذنوب والنفوس في الوجوه

النوع الرابع : ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب ، كالخمر ، والربا ، والسرقه ، والقتل ، والعيه ، والكبر ، والحسد . وكل ذلك مما لا يمكن حصره . وذكره مع غير أهله وضع الدعاء في غير موضعه . بل يسمى أن يكون العالم كالطبيب الخادق ، فيستدل أولاً بالبعض ، والسنخه (١٨٧) ووجوده الحركات ، على السائل الباطنة . ويشغل بعلاجها ، ليستدل بقرائن الأحوال على جماعها الصفات ، وليتعرض لما وقف عليه اقدم رسول الله ﷺ (١٨٧) ، حيث قال له واحد : أوصني يا رسول الله ولا تكفر علي . قال : **لَا لَغَيْبٍ** (١٨٨) وقال له آخر : أوصني يا رسول الله . فقال عليه السلام : **عَلَيْكَ بِالنَّاسِ وَمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ أَلْبَنَى وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْخَاصِرُ وَصَلِّ صَلَاةَ مُؤَذَّعٍ وَإِيَّاكَ وَمَا يُغْتَرَبُ بِهِ** . وقال رجل ل محمد بن واسع : أوصني فقال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة . قال وكيف لي بذلك ؟ قال لزم الزهد في الدنيا . فكانه ﷺ توسم في السائل الأول تخيل الغضب فيها عته . وفي السائل الآخر تخيل الطمع في الناس وطول الأمل . وتخيل محمد بن واسع في السائل تخيل الحرص على

(١٨٦) السعة . هبته والبر والهي بفتح و . ومع فسكو .

(١٨٧) حديث قال رسول الله ﷺ ولا تكفر علي قال لا يغضب .

(١٨٨) حديث قال له آخر أوصني قال عيب . يا رسول الله . الحديث . أي ما قد تقدم

الدين . وقال رجل لمعاد أوصني فقال : كن حساً أكرهك من نعمة رعيته . فكأنه تفرس فيه آثار انحصار ونعته وقال رجل إبراهيم بن أدهم : أوصني . فقال : **إِيَّاكَ وَالنَّاسَ** . وسيت . . . لا . من الناس ، فإن الناس هم الناس ، وليس كل الناس بالناس . ذهب الدين . وبقي الناس ، وما أراهم بالناس ، بل عموماً إلى ماء يناس . فكأنه تدب آفة الخالطة . وأحضر عما كان هو الغالب على حاله في وقته ، وكان العيب أداه بالناس . والكلام على قدر حال السائل ، أولى من أن يكون بحسب حال القائل ، وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنه أن اكسب لي . . . توصي به ولا تكثري فكبت إليه من عائشة إلى معاوية . سلام عيب . أما بعد ، فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول (١٨٩) : **مَنْ اتَّقَى اتَّقَى رِضَا اللَّهِ سَخَطَ النَّاسِ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَوْتُهُ النَّاسِ وَفِي اتَّقَى سَخَطَ اللَّهِ رِضَا النَّاسِ وَكَلَّمَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ** . وسلام عليك ، فانظر إلى فقها كيف تعرضت للافه لشي تكون الولا بصدددها ، وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم . وكبت إليه مرة أخرى أما بعد ، فائق الله ، فإنك إذا اتقيت الله كفأك الناس ، وإذا اتقت الناس لم يحوا عنك من الله شيئاً والسلام .

فإذاً على كل ناصح أن تكون حذيقه مصروحه إلى تفرس الصفات الخفية ، وبوسه الأحوال اللائقة ، ليكون فتشده يابسه . فإن حكمة جمع مواضع الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بمرغبه بما هو مستمع عن التوعظ فيه تضيق زمان .

فإن قلت . فإن كان الواعظ يتكلم في جمع . أو سألته من لا يدري باطن حاله أن يعظه ، فكيف يفعل . وعنه أن طريفه في ذلك أن يعظه بما يشرك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم ، وإما على الأكثر . فإن في علوم

(١٨٩) حديث عائشة من النبي ﷺ رضى الله عنه وكلمه الله إلى الناس . الحديث . الترمذي والبيهقي . وفي نسخة الترمذي من لم يسم .

رجل نحاه وأدوية ، وأدعية مكوفة وأدعية لأرباب حس . ومثله  
 ما روي أن رجلاً من أئمة بني سعيد حذري أوصى فيه عبيث بقوى الله  
 عز وجل ، وفيه رأس كل خير . وعبيث رجع ، وفيه رغبة الإسلام .  
 وعبيث ما رآه فيه بركات في أهل فارس ، وركبته في أهل فارس .  
 وعبيث ما رآه في أهل فارس ، وفيه بركات في أهل فارس .  
 وحسن أوصى فيه أهل فارس ، وفيه بركات في أهل فارس .  
 رحمه الله تعالى . ولا عذر فيهم ، ولا عذر فيهم .  
 وأما قصور كعب لأحرث . ولا عذر فيهم . ولا عذر فيهم .  
 علا ، وعن أئمة الرجال كعب . وفيه صوم يكسر شهوات ،  
 ولا هم صوماً يضر صفات . وفيه صلاة أفلح من بعده ، ولا عذر  
 خلفه ، ولا عذر فيهم . ولا عذر فيهم . ولا عذر فيهم .  
 عجب ، ولا عذر في غير أرباب<sup>(١٩١)</sup> ، ولا عذر فيهم . ولا عذر فيهم .  
 مالك وتصالح مال غيرك ، فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني ،  
 إن من يرحم يرحم ، ومن يهتك يهتك ، ومن يفلح يفلح ، ومن يضر  
 يضر . ولا عذر فيهم . ولا عذر فيهم .

وقال رجل لأبي حاتم : قد كنت كل ما لو جاءك الموت عليه فرائته  
 عسبة فامرته . وكل ما لو جاءك موت عليه فرائته مصيبة حاجته .

وقال موسى للخضر عنيهما السلام أوصني ، فقال : كن بساهاً ولا تكن  
 عضاباً . وكن نقاعاً ولا تكن صراراً ، وانزع عن النجاسة<sup>(١٩٢)</sup> ، ولا تمش في  
 غير حاجة ، ولا تصحك من غير عجب ، ولا تفرح بغير احتياج .  
 وأبك على غيبتك يا بني عمران .

(١٩٠) أي حالة عن غوك .  
 (١٩١) أرباب : متعب وجهد ومصيبة وحاجة .  
 (١٩٢) يمشي : يفرح من كذا انتهى عنه .  
 والنجاسة : الخبث في الشريعة .

وقال رجل لعمد بن حنبل أوصني : قد اجتهد في رضا خالقك بقدر  
 ما تجتهد في رضا نفسك .

وقال رجل لحامد اللعاف أوصني . فقد : اجعل لديك غلاماً كعلاف  
 المصحف أن تدبسه الآفات . وقد رجل لحامد اللعاف أوصني . فقد :  
 اجعل لديك غلاماً كعلاف المصحف أن تدبسه الآفات . قال وما علاف  
 الدين ؟ قال ترك طلب الدنيا . لا ما لا . وترك كثرة الكلام إلا فيما  
 لا بد منه ، وترك محاطة الناس إلا فيما لا بد منه .

وكتب الحسن بن علي بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أما بعد ، فخطب  
 في حرمات الله ، وأحذر من حذر الله ، وأحذر من يدرك الله ، وأحذر  
 من يدرك الله .

وكتب عبد بن عبد العزيز إلى الحسن بن علي بن عبد العزيز رحمه الله :  
 بعد ، فإن أقول لأعصم والأمور تنقصت ، ولا بدت من مشاهدة  
 ذلك إما بالحدة وإما بالمعطب . وأعلم أن من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل  
 عه حسر . ومن نظر في المواقب نجح ، ومن أطاق هواه ضل ، ومن حرم  
 غم ، ومن خاف أمن ، ومن آمن اعتبر ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ،  
 ومن فهم علم . فإذا زلت فارجع ، وإذا دمت فافزع وإذا جهلت فاسأل ،  
 وإذا قصبت فأمسك .

وكتب بصرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ، فإن  
 الدنيا در عقوبة ، وه جمع من لا عقل له ، وما يقتر من لا علم عنده .  
 فكيف يباشر مؤمن كانه ويخرجه عنه على شدة لدواءه يحرف من  
 عنه الله .

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عبد بن أرباب : أما بعد ،  
 فإن الدنيا عبوة أولياء الله ، وعدوة أعداء الله . فاما أولياءه فمعهم .  
 وأما أعداؤه فغيرهم .

وكتب أيضاً إلى بعض عماله أما بعد ، فقد أمكنك القدرة من ظلم  
العباد ، فإذا همت بظلم أحد فادكر قدرة الله عليك وأنعم أن الله عز وجل  
أخذ المظلومين من الظالمين والسلا

فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ، ووعظ من لا يرى خصوص  
واقفته . فهذه للوعظ مثل الأعدية التي يشترك الكفة في الاعتدال بها . ولآخر  
فقد مثل هؤلاء الوعاظ انقسم باب الأبدع . وشبه الناس ، واستشرى  
المسد ، وبنى الخلق بوعده بوجوب السعد ، ويسدون ثباتاً ، ويكفون  
ذكر ما ليس في سعة علمهم ، وينسبون إلى غيرهم . فسقط عن قلوب  
العامة وفكرهم ، ولم يكر كلامهم صادراً من القلب ليصل إلى القلب .  
القاتل متصلف ، واستمع متكلف ، وكل واحد منهما مُدبّر ومتحلف . فإذا  
كان طلب الطبيب أو علاج مرضى ، وطلب العلماء أول علاج العاصية .  
فهذا أحد أركان العلاج وأصوله



الفصل الثالث

## الركن الثاني في العلاج الصبر

الأصل الثاني : الصبر ووجه العلاج به أن المريض إما يطول مرضه لتناوله  
من بصره . وإما يتناول ذلك إما لعفته من مصرفته ، وإما لشده عليه شهوته .  
فهذه سببان مما ذكرناه هو علاج الصبر ، فمضى علاج الشهوة وصرف  
علاجها قد ذكره في كتاب رياضة الصبر

وخاصة أن المريض إذا اشتدت به دية مكحول مصير ، فصرفه أن  
يشعر عظم ضرره ، ثم يحجب ذلك من عينه فلا يحصره ، ثم يتسلى عنه  
بشرب منه في صبره ولا يكثر ضرره ، ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذي  
يسببه في تركه . فلا بد من كل حال من مرارة الصبر ، فكذلك يحتاج الشهوة  
في المنعص كالشرب مثلاً بعد غسلة الشدة ، فصر لا يقدر على حنق عينه ،  
ولا حنق فيه ، أو حنق جوارحه في سعي وراء شهوة فيسعى أن يشعر  
صرو ذنبه ، بأن يستقرى الشقوق التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة  
رسوله ﷺ . فإذا اشتد خوفه لم يعد من الأسباب المهيجة لشهوته . وبمهيج  
الشهوة من خارج ، هو حضور المشتى ينظر إليه ، وعلاجه اهرب والعلة  
ومن داخل تناول لذائذ الأطعمة ، وعلاجه الجوع والصوم النديم . وكل ذلك  
لا يتم إلا بصبر ، ولا يصبر إلا عن خوف ، ولا يخاف إلا من عزم ، ولا يعلم  
إلا عن بصيرة وتفكير ، أو عن سماع وتقليد . فأول الأمر حضور محاسن  
الذكر ، ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل ، مصروف إلى  
السماع ، ثم التمعك فيه تمام الفهم وبعث من تمامه لا بحالة حووه وإذا قوى  
الخوف تيسر بمعونه الصبر ، وانبعث للنواحي لطلب العلاج ، وتوفيق الله





#### الفصل الرابع

### أسباب الوقوع في الذنوب

أحدها : أن تعذب المرء من بين حصر وانفس حسب ماثره  
بالحصر من مثله بالمرء حسب ماثره من بين حصر

الثاني : أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجرة ، وهي في الحال  
أحدة بعين وقد قوى ذلك وأبـ عنها سبب لأعياد والإلف ، وعبدة  
ضيعة حمسه ، وسرع من حصر حصر لاجل سبب على نفس وعبدة  
قد تعالى . ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْفِتْنَةَ وَتُبْذَلُونَ الْأَشْرَافَ ﴾<sup>١</sup> وقد عر  
وجس ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾<sup>٢</sup> ، وقد عر عن شدة الأمر من  
رسول الله ﷺ ، ﴿ حُفَّتِ الْحُفُ بِالْمُكَارِهِ وَخُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ﴾<sup>٣</sup>  
وقوله ﷺ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَالِي حَقِّ النَّارِ فَقُلْ لِحَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
اذهُبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرِّ إِلَيْهَا فَذْ . وعزتك لا يسمع بها أحدٌ فدخلها  
فحتمها بالشهوات . ثم قال : اذهُبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرِّ . فقال وعزتك  
لقد خشيت أن لا يبقى أحدٌ إلّا دحها وحق الحقة فقال لحبريل عليه  
السَّلَامُ : اذهُبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرِّ فقال . وعزتك لا يسمع بها أحدٌ إلّا  
دخلها فحتمها بالمكاره ثم قال : اذهُبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرِّ إِلَيْهَا فَظَرِّ  
وعزتك لقد خشيت أن لا يدخنها أحدٌ . بدأ كور الشهوة مرهنة في

(١٩١) القيامة : ٢٠

(١٩٥) الأعراف : ١٦

(١٩٦) حديث جده - عليه السلام - حديث من حبيب وحريرة

(١٩٧) حديث إن الله حرس - فقال حريرة اذهب فانظر بها - حديث من حبيب وحريرة

وصحبه من حبيب في حريرة وعبدة حبيب

ونفسه من وراء ذلك . فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء ، واستشعر  
الخوف فائق ، وانتظر الثواب ، وصدق بالحسن ، فسيبره الله تعالى  
لليرى . وأما من يخل واستغنى ، وكذب بالحسن ، فسيبره الله لليرى ،  
فلا يرى عنه من شغل به من ملاد الدنيا مهاسكت ويردى وما على الأنبياء  
إلا شرح طرق الهدى ، وإف الله الآخرة والأولى .

فإن قلت : فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان ، لأن ترك الذنب لا يمكن إلا  
بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الحرف ، والخوف لا يكون إلا بالعلم ،  
والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتسديد بعظم ضرر  
الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان ، فكان من أصر على الذنب لم  
يصر عليه إلا لأنه غير مؤمن ، فاعلم أن هنا لا يكون لفقد الإيمان ، بل يكون  
لضعف الإيمان . إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى ،  
وسبب العقاب في الآخرة . ولكن سبب وقوع في الذنب أمور



١٩١

١٩٥

١٩٦

١٩٧



## الفصل الخامس

### علاج الأسباب الموجبة للإصرار

#### الفكر الحقيقي دواء الوقوع في المعاصي

فإن قلت : فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول ، وهو تأخر العقاب ، أن كل ما هو آت آت ، وأن غداً للناظرين قريب ، وأن الموت قرب إلى كل أحد من شركائ نعله ، فما يدريه لعل الساعة قريب . والمتأخر إذ يقع صار عاجزاً . ويذكر نفسه أنه أبداً في دنياه يتعب في الحال لحرق أمر في الاستقبال . إذ يركب البحار ، وينافس الأسفار ، لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال . بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت ، وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه ، مع أن الموت ألد لحظة إذا لم يخفف ما بعده ، ومفارقة الدنيا لا بد منها . فكم نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلاً وأبداً ، فينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول فمي لم تقم معجزة على طبه ، فيقول . كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عندي ، دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ، ولا يشهد له إلا علوم الخلق ؟ وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض ، وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا ؟

وبهذا التفكير بعينه يعالج المدة الغالبة عليه . ويكلف نفسه تركها ، ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام المسر وهي أيام قلائل ، فكيف أقدر على ذلك أهد الآباد ؟ وإذا كنت لا أطيق ثم الصبر ، فكيف أطيق ألم النار ؟ وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتقصصها وامترج صفوها

الحال ، ويكون العقاب متأخر إلى المال ، ميبان ظاهراً في الاسترسال . مع حصول أصل الإيمان . فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه ، مكذباً بأصل الطب ، ولا مكذباً بأن ذلك مضر في حقه . ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه عاجز ، فهون عليه الألم المنتظر .

الثالث . أنه ما من ملذب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة ، وتكفير السيئات بالحسنات . وقد وعد بأن ذلك يجره . إلا أن طول الأمل غالب على الطباع ، فلا يزال يسوّف التوبة والتكفير . فمن حيث رجاءه التوفيق للتوبة ، ربما يقدم عليه مع الإيمان .

الرابع . أنه ما من مؤمن موقن ، إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العفوية إيماناً لا يمكن العفو عنها . فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالاً على فضلي الله تعالى .

فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب ، مع بقاء أصل الإيمان . نعم قد يقدم الذنب بسبب خامس يقدح في أصل إيمانه ، وهو كونه شاكاً في صدق الرسل ، وهذا من الكفر . كالذي يحذر الطبيب عن تناول ما يضره في المرض . فإن كان المخبر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب ، فيكديه أو يشك فيه ، فلا يبال به . فهذا هو الكفر .



بكدرها . فكيف أصبح عن نعيم الآخرة ؟ وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في أن أكثر صباح أهل النار من التسويف ، لأن المسوِّف يبنى الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلمعله لا يبقى وإن بقي فلا يقدر على الترك غداً كما لا يقدر عليه اليوم . فليت شعري هل عجز في الحال إلا لقلة الشهوة ؟ ولشهوة ليست تفارقه غداً بل تضعاف ، إذ تتأكد بالاعتیاد . فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالمادة كالتي لم يؤكددها . وعن هذا هلك المسوِّفون ، لأنهم يظنون الفرق بين المتأملين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبداً شاق ، وما مثال المسوِّف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فربما قوة لا تنقطع إلا بمشقة شديدة ، فقال : أوخرها سنة ثم أعود إليها . وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه . فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقة ، إذ عجز مع قوته عن مقاومة مصعبه . فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضيف . وأما المعنى الرابع ، وهو انتظار عفو الله تعالى ، فعلاجه ما سبق . وهو كمن يتفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء . منتظراً من فضل الله تعالى أن يزرقه العشر على كثر في أرض غربة . فإن إمكان العشر عن الذنب مثل هذا الإمكان . وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في بلده ، وترك ذخائره أمواله في صحن داره ، وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل ، وقال : أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب ، حتى لا يتفرغ إلى داري ، أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار ، فإن الموت ممكن ، والغفلة ممكنة ، وقد حكى في الأسمار أن مثل ذلك وقع : فأننا أنتظر من فضل الله مثله . فنتظر هذا منتظر أمر ممكن ، ولكنه في غاية الحماقة والجهل ، إذ قد لا يمكن ولا يكون . وأما الخامس وهو شك فهذا كفر . وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل . وذلك بطول . ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحمد عقله فيقال له :

ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن ؟ أو تقول أعلم أنه محال ، كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة ؟ فإن

قال أعلم استحالة كذلك فهو أم لا معنوه ، وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء . وإن قال أنا شك فيه . لو أعيرك شخص واحد مجهول ، عند تركك طعامك في البيت لحظة . ولغت فيه حبة ، وألقت معها فيه ، وجوزت صدقه ، فهل تأكله أو تتركه ؟ وإن كان الله الأظمعة ؟ فيقول أتركه لا بحالة ، لأن أقول إن كذب فلا عيرني إلا هذا الطعام ، والصبر عنه وإن كان شديداً فهو قريب ، وإن صدق تنقضى الحياة ، والموت بالإضافة إلى أم الصبر عن الطعام وإباحتها شديد . يقال له : يا سبحان الله ، كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم ، مع ما ظهر من المعجزات ، وصدق كافة الأولياء ، والعلماء ، والحكماء ، على جميع أساف العقلاء ، ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب ، عن صدق رجل واحد مجهول ، لعل له غرضاً فيما يقول ! فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر ، وأثبت ثواباً وعقاباً ، وإن اختلفوا في كيفيته ، فإن صدق قد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد . وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهادات هذه الدنيا القانية المكثرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلاً مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد . بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالنفوس ، وفقرنا ظاهراً يلتقط في كل ألف سنة حبة واحدة منها . فليت النفوس ، ولم ينص أبد الآباد شيئاً . فكيف يفتر رأي الغافل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلاً ، لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ! ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التوحي المعري :

قال المنجم والطبيب كلامهما لا تبحث الأموات قلت إليكما  
إن صح قولكما فليست بخامر أو صح قولى فاختار عليكما

ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور ، وكان شاكاً : إن صح ما قلت قد تخلصنا جميعاً ، وإلا فقد تخلصت وملكك . أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال . فإن قلت . هذه الأمور جليلة ، ولكنها ليست شال إلا بالتفكير ، فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستغفلته ، وما علاج القلوب لرجعها إلى الفكر ، لا سيما من آمن بأصل

الشرع وتفصيله . فاعلم أن المانع من الفكر أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها ، وشدائدها ، وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم . وهذا فكر للداغ مؤلم للقلب ، فينزع القلب عنه ، ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة .

والثاني : أن الفكر شغل في الحال مانع من اللذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ، ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقت . فصار عقله مسخراً لشهوته ، فهو مشغول بتدبير حيلته ، وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة ؟ والفكر يمنعه من ذلك . وأما علاج هذين المانعين ، فهو أن يقول للنفس : ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده ، تألماً بذكره ، مع استحقاق ثم مواقفته . فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع ، وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ، ومتألم به ! .

وأما الثاني : وهو كون الفكر مفوتاً للذات الدنيا ، فهو أن يتحقق أن قوات لذات الآخرة أشد وأعظم . فليها لا آخرها ، ولا كدورة فيها . ولذات الدنيا سريعة الدور ، وهي مشوبة بالمكدرات . فما فيها لذة صانية عن كدر . وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى ، واستراحة بمعرفته ، وطاعته ، وطول الأنس به ! ولو لم يكن للطمع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلوة الطاعة ، وروح الأنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافياً . فكيف بما يضاف إليه من نعيم الآخرة ! نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ، ولكنها بعدما يصبر عليها مدة مديدة ، وقد صار الخير ديدناً ، كما كان الشر ديدناً ، فالنفس قائلة ما عودتها تعود ، والخير عادة ، والشر لاجبة .

فإذا هذه الأفكار هي المهيجة للخوف المهيح لقوة الصبر عن اللذات . ومهيح هذه الأفكار وعظ الوعاظ ، وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل في الحصر ، فيصير الفكر موافقاً للطبع ، فيميل القلب إليه . ويعبر

عن السبب الذي أوقع الموافقة بين طبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق . إذ التوفيق هو التوفيق بين دة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة . وقد روى في حديث ضعيف أنه قام عمار بن ياسر فقال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الكفر على ماذا بُني فقال علي رضي الله عنه : بني على أربع دعائم . على الحياء ، والعسى والعقلاء ، والشك . فمن جفا أحد الحق ، وجير بالباطل ومقت العلماء . ومن عسى نسي الذكر . ومن عقل جاد عن الرشيد . ومن شك غرته الأماني . فأخذته الحسرة والندامة . . . من الله ما لم يكن يحسب .

فما ذكرناه بيان لبعض آفات الفكر عن التفكير وهذا القدر في التوبة كاف .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..



## قهرس التوبة

صفحة

الموضوع

٥	كلمة الخقق
٩	دراسة التحقيق :
	[ هذا الكتاب - المؤلف - عصره - مؤلفاته - حجة الإسلام الغزالي مؤلفاً ومجدهاً - منهج التحقيق ]
٢١	مقدمة المؤلف
٢٣	تمهيد
٢٥	الركن الأول : في نفس التوبة
	[ ويتضمن خمسة فصول ]
٣٥	الركن الثاني : فيما حصة التوبة (وهي النوب صغارها وكبارها)
	[ ويتضمن أربعة فصول ]
	الركن الثالث : في تمام التوبة ، وشروطها ، ودوامها إلى آخر
٩٩	العمر
	[ ويتضمن خمسة فصول ]
١٣٧	الركن الرابع : في دولة التوبة ، وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار .
	[ ويتضمن خمسة فصول ]

وبحمد الله الذي نعمت بهم الصالحات

AL-MUS TAFI.COM